الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجيلالي بونعامة – خميس مليانة

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإنسانية

شعبة التاريخ

أحمد توفيق المدني مؤرّخا

(1899 -1983م)

مذكرة مقدّمة لاستكمال شهادة ماستر أكاديمي في العلوم الإنسانية والاجتماعية

تخصص المقاومة والحركة الوطنية الجزائرية

إعداد الطالبتين:

* هدلي فدوى

* قوادري نعيمة

تحت إشراف الأستاذ:

د/أحمد بن يغزر

أعضاء لجنة المناقشة:

اللقب و الإسم:	الجامعة:	الصفة:
د/ بن يغزر أحمد	-جامعة خميس مليانة-	مشرفا
د/ دراوي محمد	-جامعة خميس مليانة-	رئيسا
أ/ قبال	-جامعة خميس مليانة-	مناقشا

السنة الجامعية: 2019 -2020

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجيلالي بونعامة – خميس مليانة

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإنسانية

شعبة التاريخ

أحمد توفيق المدني مؤرّخا

(1899 -1983م)

مذكرة مقدّمة لنيل شهادة ماستر أكاديمي في العلوم الإنسانية والاجتماعية

تخصص المقاومة والحركة الوطنية الجزائرية

إعداد الطالبتين:

* هدلي فدوى

* قوادري نعيمة

تحت إشراف الأستاذ:

د/ أحمد بن يغزر

أعضاء لجنة المناقشة:

اللقب و الإسم:	الجامعة:	الصفة:
د/ بن يغزر أحمد	–جامعة خميس مليانة–	مشرفا
د/ دراوي محمد	–جامعة خميس مليانة–	رئيسا
أ/ قبال	–جامعة خميس مليانة–	مناقشا

السنة الجامعية: 2019 -2020

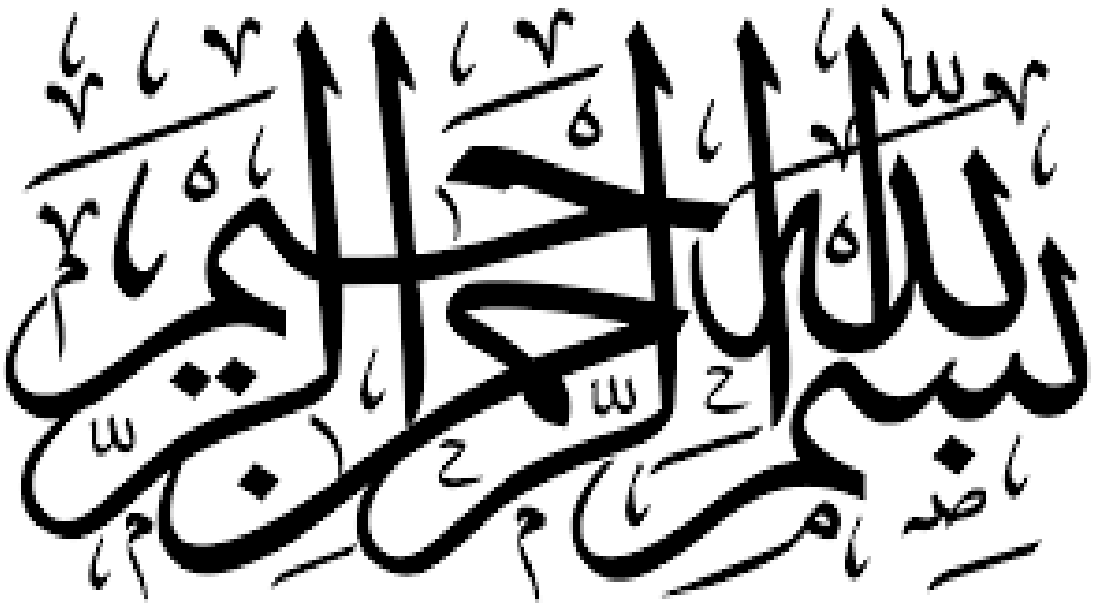
بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾

صدق الله العظيم

سورة المجادلة: الآية 11

شكر و عرفان

لابد لنا و نحن نخطو خطواتنا الأخيرة في الحياة الجامعية من وقفة نعود إلى أعوام قضيناها في رحاب الجامعة مع أساتذتنا الكرام الذين قدموا لنا الكثير باذلين بذلك جهودا كبيرة في بناء جيل الغد لتبعث الأمة من جديد ... و قبل أن نمضي نقدم أسمى آيات الشكر و الامتنان و التقدير إلى جميع أساتذتنا الأفاضل .....

و أخص بالتقدير والشكر: " الدكتور أحمد بن يغزر " الذي نقول له بشراك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن الحوت في البحر ، و الطير في السماء ، ليصلون على معلم الناس الخير " ، كما أنني أتوجه بخاص الشكر إلى من علمنا التفاؤل والمضي إلى الأمام إلى من وقف إلى جانبنا عندما ضللنا الطريق " الدكتور أحمد طاهر قوادري " ، و كذلك نشكر الدكتور "أمين الشريف الزهار" حفيد أحمد توفيق المدني الذي لم يبخل علينا و أمدنا بالمعلومات اللازمة حتى أتممنا هذا البحث و كل من قدم لنا يد العون و المساعدة بالمعلومات من قريب أو بعيد ربما دون أن يشعروا بدورهم بذلك فلهم منا كل الشكر .

فما توفيقنا إلا بالله و إليه ننيب.

الطالبتين :

هدلي فدوى

قوادري نعيمة

إهداء

وصلت رحلتي الجامعية إلى نهايتها بعد تعب ومشقَّة ...

وها أنا ذا أختم بحث تخرُّجي بكل همَّة ونشاط ...

و أمتنُّ لكل من كان له فضل في مسيرتي ...

وساعدني ولو بالنزر القليل...

إلى والداي أطال الله عمرهما....

إلى خالتي حبيبتي " نعيمة " التي علمتني الحروف منذ نعومة أظافري...

و الأساتذة المُبجَّلين...

الطالبة :

هدلي فدوى

إهداء

إلى من كلله الله بالوقار، الى من علمني العطاء بدون انتظار، الى من احمل اسمه بكل افتخار الى أبي حفظه الله.

الى أمي التي ارضعتني الحب و الحنان و لم تبخل علي بدعواتها الى أمي حفظها الله.

الى مصدر سعادتي و قوتي الى مصدر وجودي في الحياة الى اخوتي الأعزاء

الى كل من قاسمني حلو الدراسة و مرها الى كل زملائي

و الى كل من كان سببا لنجاحي و تفوقي اساتذتي

الطالبة:

قوادري نعيمة

قائمة المختصرات:

الاختصارات باللغة العربية	الاختصارات باللغة الفرنسية
(د. ب): دون بلد (د. د. ن): دون دار النشر (د. ط): دون طبعة (د. س): دون سنة تح: تحقيق تع: تعريب ج: جزء ص: صفحة ط: طبعة مج: مجلّد (ط. خ): طبعة خاصة (ك.م): كاتب مجهول	الصفحة ⟵ P المرجع السابق الذكر ⟵ Opcit

مقدمة

منذ الاحتلال الفرنسي 1830م تعرضت الجزائر للعديد من السياسات الاستعمارية ضدّ معالم الهوية الثقافية التي تجمع المجتمع الجزائري الواحد، حتى أنها تجرأت بكتاباتها الغربية فرنسية كانت أو إسبانية لتشويه التاريخ الذي تعاقبت عليه البلاد الجزائرية من أقدم العصور إلى غاية التواجد العثماني بالجزائر عام 1518م، محاولة طمس أهم الحقائق التاريخية وأبرز البطولات التي شهدتها الجزائر أرضا وشعبا.

ووفقا لهذه الأفكار الخطيرة التي تبنّتها تلك الأطروحات وقفت نخبة الحركة الإصلاحية وعلى رأسها "أحمد توفيق المدني" بالمرصاد عن طريق كتاباته التاريخية (1923م – 1982م) كـ: "كتاب تقويم المنصور"، "قرطاجنة في أربعة عصور"، "الجزائر" ، وغيرها من الكتابات الأخرى التي سعى من خلالها إلى تفنيدها والكشف عن أهم الحقائق التاريخية التي كانت بحدّ ذاتها يجهلها الشعب الجزائري والمغاربي خاصة والعالم الخارجي عامة.

وهكذا جاءت دراستنا الأكاديمية تحت عنوان: "أحمد توفيق المدني مؤرّخا (1899م-1983م)".

الدّراسات السابقة:

هناك مجموعة من الدّراسات السابقة التي تناولت دراسة "أحمد توفيق المدني مؤرّخا" حتى وإن اختلفت من ناحية العنوان، وعليه نذكر أهمها:

– **دراسة عبد القادر خليفي:** "أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر 1893– 1983م" رسالة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة منتوري، قسنطينة، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية قسم التاريخ والآثار، 2007م، هدفت هذه الدراسة إلى إبراز تجربة أحمد توفيق المدني في الميادين النضالية سواء على الساحة السياسية أو من خلال مؤلفاته التاريخية، وتوصّلت هذه الدراسة إلى أنّ هذه الشخصية الوطنية لم تعرف كللا ولا مللا في مواجهة الأخطار الاستعمارية منذ نعومة أظافرها، كما أوصت الدراسة الباحثين الجادين بالتّعمق في فكر الرجل وتراثه الغني الذي يحتاج إلى المزيد من الدراسات العلمية الأكاديمية لإعطاء الرجل حقه، وركّزت هذه الدراسة أكثر على نشاطه السياسي والصحفي في الساحة التونسية والجزائرية، ولم تتعمّق أكثر في دراسة كل مؤلفاته التاريخية.

– **دراسة بلقاسم برابح:** "الكتابات التاريخية عند الشيخ أحمد توفيق المدني"، مذكرة مكمّلة لنيل شهادة الماستر في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، 2018م: هدفت هذه الدراسة لإبراز إسهامات أحمد توفيق المدني في تّدوين

تاريخ الجزائر، وكذا وجهة نظر الباحثين حول كتاباته التاريخية،توصلت هذه الدراسة إلى أنّ المدني هو من المؤرخين الذين وضعوا عددا كبيرا من المؤلفات التاريخية التي استطاع بها أن يجمع الذاتية الجزائرية والمغاربية، وركّزت هذه الدراسة على عرض إسهامات المدني التاريخية باختصار.

- **دراسة فيروز برجوح ونعيمة مردف:** "الكتابة التاريخية عند أحمد توفيق المدني (1914- 1983م)، مذكرة لنيل شهادة الماستر، تخصص تاريخ المغرب الحديث والمعاصر، جامعة الشهيد حمة لخضر، الوادي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم العلوم الإنسانية شعبة التاريخ 2018م، هدفت هاته الدراسة إلى إبراز كفاح "أحمد توفيق المدني" في سبيل رفع الستار وكشف حقائق عن تاريخ الشعب الذي أراد الاستعمار تشويهه وضربه في صميم مقوّماته من اللغة والدين والتاريخ، وتوصلت هذه الدراسة إلى أنّ "أحمد توفيق المدني" مزج في مواضيع مؤلفاته الواقع المعيشي في ظل الاستعمار وموقفه منه باعتباره من صنّاع الحدث، وهكذا فإن هذه الدراسة ركّزت أكثر على مؤلفاته مع إعطاء نماذج لدراسة أسلوبه في الكتابة وكذلك آثار كتبه لدى معاصريه فقط، بينما تجاهلت كتبه المنشورة في تونس وكذا البعض المنشورة في الجزائر مثل رواية "حنبعل" و "أبطال المقاومة الجزائرية".

وعليه إختلفت دراستنا هذه الموسومة بـ: "أحمد توفيق المدني مؤرّخا" عن الدراسات السابقة من خلال ما يلي:

* دراستنا لأبرز العوامل المؤثرة في تكوين شخصية "أحمد توفيق المدني" التي غفلت عن ذكرها البعض من الدراسات السابقة.

* جاءت دراستنا لإثبات "أحمد توفيق المدني" كمؤرخ.

* محاولتنا لدراسة أغلب تصنيفاته التاريخية والأدبية المنشورة في الجزائر و تونس والتي تغاضت عنه االبعض من الدراسات السابقة محاولين بذلك إثبات ما جاء في إشكالية موضوعنا، وفي نفس الوقت الدّفاع عنه وإنصافه أمام التاريخ.

حدود الدّراسة:

اعتمدنا حدودا للدّراسة انحصرت ما بين 1899م إلى 1983م المرتبطة من مولده ونضاله السياسي في كل من تونس والجزائر إلى غاية وفاته وكذا مصنّفاته التاريخية.

دوافع اختيار هذا الموضوع:

وقع اختيارنا على دراسة هذا الموضوع لعدّة دوافع نذكر منها:

1/ في حقيقة الأمر اقترحه علينا مشرفنا الدكتور "أحمد بن يغزر" وبعد اطّلاعنا على شخصية "أحمد توفيق المدني" وكذا نشاطاته الصحفية والكتابية أثار لدينا الفضول أكثر للتّعمّق في هذا الموضوع.

2/ رغبتنا في إحياء تراثه التاريخي المتمثل في كتاباته التاريخية والأدبية التي كان لها الفضل الكبير في تدوين الكثير من الحقائق عن التاريخ الوطني خاصة والمغاربي عامة، ولأننا وجدنا أنّ الكثير من الشخصيات الوطنية الأخرى حظيت باهتمام كبير من الباحثين، لكن كتابات المدني غابت عن متناول بعض دراسات الباحثين وكذا الكُتّاب.

إشكالية البحث الرّئيسية:

إنطلق هذا العمل من إشكالية أساسية تناقش الإسهام الذي قدمه أحمد توفيق المدني في الكتابة التاريخية الجزائرية و المدى الذي حققه في هذا الإتجاه، وتندرج ضمن هذه الإشكالية تساؤلات فرعية:

* ما هي أبرز العوامل التي أثّرت في شخصيته وأفكاره؟

* هل كانت كتاباته التاريخية موضوعية أم بدافع حماسي؟

* فيم تمثّلت إسهامات "أحمد توفيق المدني" في التّدوين لتاريخ تونس والجزائر؟

خطة البحث:

بغية الإجابة على الإشكالية وعلى الأسئلة الفرعية تم تقسيم دراستنا حسب الخطة التالية :

مقدّمة: أعطينا تعريفا للموضوع وكذا أهم الدّوافع التي جعلتنا نقوم باختياره، ثم تطرّقنا لذكر أهم المناهج العلمية التي أتبعناها في دراسة موضوعنا مع الإشارة إلى الصعوبات التي واجهتنا خلال عملنا هذا.

حيث تناولنا في الفصل الأول حياة المؤرّخ "أحمد توفيق المدني" بداية من مولده ونشأته وأهم العوامل المؤثرة في تكوينه، وعن تعليمه ودراسته مبرزين في ذلك البدايات الأولى لتعلّمه بتونس بداية من الكتاتيب ثم المدرسة القرآنية إلى جامع الزيتونة، إضافة إلى ذلك تطرّقنا إلى نشاطاته في كل من تونس والجزائر بعدها الوظائف والمسؤوليات التي تقلّدها بعد الاستقلال إلى غاية وفاته.

في حين عالجنا في الفصل الثاني الكتابات التاريخية لـ «أحمد توفيق المدني" من خلال معرفة تصوّره ومفهومه للتاريخ ثم أسلوبه في الكتابة والنقد التاريخي وكذا توظيفه للتاريخ، ثم تطرّقنا للكتب التاريخية التي خلّفها أحمد توفيق المنشورة في تونس والجزائر، وأخيرا قمنا بإبرازه كمؤرّخ.

خاتمة: في الأخير توصلنا إلى مجموعة من النتائج قمنا بعرضها في الخاتمة بعد دراسة المادة الخبرية وتحليلها و طبقا للمناهج المعتمدة ولتوجيهات الدكتور المشرف.

كما دعمنا موضوعنا أيضا بمجموعة من الملاحق ثم أتبعناها بقائمة للمصادر والمراجع المعتمدة، وآخرا عرضنا فهرس محتويات المذكرة.

مناهج البحث:

للإجابة على الإشكالية المطروحة تم الاعتماد في هذه الدّراسة على كلّ من:

1- المنهج التاريخي الوصفي: الذي حاولنا من خلاله وصف واستعراض ترجمة لشخصية "أحمد توفيق المدني" ونشاطاته في كلا القطرين "تونس والجزائر".

2- المنهج التحليلي: وهو الذي سلكناه لمحاولة استقراء المادة الخبرية التي تضمّنتها كتاباته للخروج منها بفوائد تثري البحث التاريخي بطريقة موضوعية.

نقد المصادر والمراجع:

لإنجاز بحثنا هذا اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع تمثّلت في:

فيما يتعلّق بالمصادر نجد:

أولا: الوثائق الأرشيفية: نذكر بذلك وثيقة لنجل المدني "إسلام المدني" (présentation de cette collection d'ouvrage de mohamed toufik el madani) التي كانت عبارة عن شهادات هذا الأخير حول والده المرحوم أحمد توفيق المدني و كذا نشاطاته و أعماله التاريخية كونه كان من معاصريه و الأشد قربا منه.

الصحف: نذكر بذلك البعض من الصحف التونسية التي ناولنا إياها حفيد المدني "الدكتور أمين الشريف الزهار" مثل : "مجلة الفجر، مجلة البصائر، وجريدة الأسبوع، البيان، الصباح، العلم، النهضة، منبر الشعب" التي احتوت مجموعة من التقاريض عن رواية حنبعل.

بالإضافة إلى ذلك، "جريدة الشهاب" (الجزائر) التي احتوت على مجموعة من مقالات المدني وكذا مجموعة من التقاريض عن كتبه التاريخية، و"المنار" التي ضمت مجموعة من المقالات حول جبهة الدفاع عن الحرية واحترامها (1950م) مبيّنة اسم "المدني" من بين مؤسّسيها.

ثانيا: الكتب: من أهم ما اعتمدنا عليه: مؤلّفات "المدني" خاصة "مذكرات حياة كفاح" بأجزائها الثلاثة (1905- 1962م) التي تناول فيها المدني حياته منذ ولادته ونشاطاته إلى غاية نفيه للجزائر، بعدها تطرّق في الجزء الثاني للتّحدّث عن أوضاعه بعد نفيه للجزائر وكيف استطاع بنشاطاته أن ينضم للحركة الوطنية الجزائرية بجانب "عبد الحميد بن باديس" في إنشاء كل من نادي التّرقّي وجمعية العلماء المسلمين، وكذا بيان فيفري (1943م)، وجبهة الدفاع عن الحرية واحترامها (1950م) إلى اندلاع الثورة،

بالإضافة إلى الجزء الثالث الذي تعرّض فيه إلى كفاحه بعد اندلاع الثورة إلى غاية الاستقلال، وكذا مؤلفاته الأخرى ككتاب الجزائر وقرطاجنة في أربعة عصور، وغيرها التي أفادتنا أثناء دراسة مؤلفاته.

أما فيما يتعلّق بالمراجع فأهمها:

* كتاب محمد أبو طيبي "دور المهاجرين الجزائريين في الحركة الوطنية التونسية"، وكذا مقال "دور المهاجرين الجزائريين في الحركة الوطنية التونسية مطلع القرن العشرين" والذي أفادنا كثيرا، خصوصا نشاطاته في تونس، كما اعتمدنا على كتاب "محمد الصالح الجابري"النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس" الذي أفادنا أيضا في إبراز ردود الأفعال على قرار نفيه من تونس إلى الجزائر، وكذلك أبو القاسم سعد الله "تاريخ الجزائر الثقافي" الجزء السابع الذي تضمن مؤلفات المدني بالإضافة إلى كتاب محمد محفوظ "تراجم المؤلفين السياسيين" الذي أفادنا أيضا في تعليمه وكذا نشاطاته بين تونس والجزائر، وتحدّث عن مؤلفاته التاريخية في تونس والجزائر وإن كانت باختصار.

– كذلك كتاب "علي مراد" بالعربية والفرنسية "الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر" ، "Le réformisme musulmane" الذي أفادنا في التعرّض لمولد "أحمد توفيق المدني" وكذا أعماله خاصة كتاب الجزائر، ليس ذلك فقط بل كتاب "بوعزة بوضرساية" "روّاد المدرسة التاريخية" الذي تناول فيه تعليمه وكذا وفاته ونشاطاته السياسية والفكرية في تونس والجزائر إضافة لإنتاجه العلمي بصورة مختصرة.

– كما اعتمدنا أيضا على كتاب "عبد الكريم بوصفصاف" "تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر" الذي تناول فيه منهجية الكتابة التاريخية عند أحمد توفيق المدني، وساعدنا في أسلوبه في الكتابة والنقد التاريخي وكذا كتاب "حياة كفاح"، وكذلك كتابين لـ"خير الدين شترة " "إسهامات النخبة الجزائرية الحياة السياسية والفكرية التونسية" و"الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة" واللّذان أفادانا أيضا خاصة في مساهمة "أحمد توفيق المدني" في الساحة السياسية التونسية".

– وأيضا اعتمدنا على رسالة ماجستير الباحث "عبد القادر خليفي" "أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر (1899– 1983م) التي أفادتنا خصوصا في الفصل الثاني ونقصد بذلك أسلوب "المدني" وكذا التقاريض وصدى مؤلفاته خاصة حياة كفاح ووفاته، فضلا عن ذلك مقاليه "التاريخ في اهتمامات نخبة الحركة الوطنية الجزائرية قراءة في مضامين كتاب الجزائر لـ"أحمد توفيق المدني" و"الكتابات التاريخية وبعث الوطنية الجزائرية في ظل الحقبة الكولونيالية دراسة نماذج من إسهامات "أحمد توفيق المدني" خلال الفترة (1931– 1950م)" الذي أفادنا في دراسة مذكرات "حياة كفاح" ولو بالقدر القليل، وكذا "كتاب الجزائر"، أما المقال الثاني فاستفدنا منه بذكره لنماذج من إسهاماته في بعث الذاكرة التاريخية الوطنية، أما مقال "محمد غالم" "براديقما المقاومة في الخطاب التاريخي الإصلاحي أحمد توفيق المدني أنموذجا" الذي أفادنا أثناء تناولنا ومقارنتنا في الفصل الثاني لأسلوب

المدني في الكتابة والنقد التاريخي وكذا بعض إنتاجه الفكري كـ"حرب الثلاثمائة سنة" و"قرطاجنة في أربعة عصور"، "المسلمين في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا".

– أما المراجع الشفوية فنذكر بذلك المقابلة الشخصية مع الدكتور "أحمد الشريف الزهار" حفيد المرحوم "أحمد توفيق المدني" الذي كان يحتفظ بذكريات كبيرة وشهادات من خاله المرحوم "محمد إسلام المدني" الابن البكر لـ"توفيق المدني" وقد أفادنا حقّا بمعلومات ووثائق قيّمة وهامة.

صعوبات البحث:

تمثّلت الصعوبات التي واجهتنا في عملنا هذا فيما يلي:

* استحالة الحصول على بعض المصادر المهمة في موضوعنا من المكتبات بسبب الأوضاع التي خلّفتها جائحة "كورونا".

* ومن العراقيل التي نتأسف عليها هي ما واجهناها عند تردّدنا على المكتبة الوطنية بالعاصمة من طرف أعوان الأمن الذين خلقوا أسبابا تافهة لمنعنا من الدخول والحصول على المادة العلمية، وهي في حقيقة الأمر من السلبيات التي تُضعف إرادة الباحث من البحث خاصة وأننا قد قطعنا مسافة طويلة للوصول.

الفصل الأول

ترجمة لأحمد توفيق المدني

تمهيد:

يتناول هذا الفصل المرحلة الأولى والثانية من حياة "أحمد توفيق المدني" في كل من القطرين: تونس والجزائر، الممتدة من مولده سنة 1899م في مسقط رأسه بتونس، والتي كانت بدورها ملاذا للكثير من الجزائريين، وذلك فرارا من السياسة الاستعمارية الزجرية في حقهم قبل أن تقع هي الأخرى كفريسة في أيدي الاحتلال إلى غاية طرده سنة 1925م إلى الجزائر ليواصل بذلك نشاطه ونضاله السياسي فيها إلى غاية الاستقلال سنة 1962م.

المبحث الأول: حياته وآثاره.

المطلب الأول: مولده ونشأته.

في دار عربية يرجع عهد بنائها إلى العصر الحفصي الأخير بنهج الناعورة في الطريق الفاصل بين الباشا ونهج التريبونال في تونس[1]، ولد الأديب المؤرخ[2] "أحمد توفيق المدني"[*] في 24 جمادى الثانية عام 1317هـ[3]، الموافق لـ 01 نوفمبر 1899م[*]، من أب جزائري "محمد المدني" وأم جزائرية "عائشة بويراز".[4]

هو بن محمد بن أحمد بن محمد المدني التونسي مولدا وقانونا، أتاه لقبه من جده الأعلى المولود بالمدينة المنورة[5]، أبوه هو محمد بن أحمد بن محمد المدني القبيّ الغرناطي[*] من السادة الأشراف[6]، ويقول

---

[1] – محمد الصالح الصديق، شخصيات فكرية وأدبية، شركة دار الأمة للنشر، برج الكيفان، الجزائر، 2002، ط1، ص319.

[2] – ابراهيم بن عبد الله خزيمي، موسوعة أعلام القرن الرابع عشر و الخامس عشر هجري، ج1، دار شريف رياض للنشر، د.ت، ص 272.

[*] – ينظر : الملحق رقم 01.

[3] – أحمد توفيق المدني، المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص06.

[*] – [**]اختلف المؤرخون حول تاريخ ميلاد المؤرخ أحمد توفيق المدني، فمثلا شارل روبير قال بأنه ولد سنة 1988م، وكذلك نجد علي مراد يرجع بأنه ولد في 16 جوان 1899م، بالإضافة إلى قول عبد الكريم بوصفصاف بأنه ولد سنة 1899م، بينما ظهر في شهادة ميلاد المعني أنه ولد في 16 جوان 1899م، ينظر: شارل روبير أجيرون، تر: سليمان عياش وآخرون، تاريخ الجزائر المعاصر من انتفاضة 1871م إلى اندلاع الحرب التحريرية 1954م، مج 2، دار الأمة للنشر، برج الكيفان، الجزائر، 2008، ص 516. أيضا: علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، دار الحكمة للنشر، الجزائر، 2007، ط.خ، ص 137، و: عبد الكريم بوصفصاف وآخرون، معجم أعلام الجزائر في القرنين 19م و20م، ج2، دار الهدى للطباعة، عين مليلة، الجزائر، 2004م، ص 303، أيضا: شهادة ميلاد المعني، ينظر: عبد القادر خليفي، أحمد توفيق المدني و دوره في الحياة السياسية و الثقافية بتونس و الجزائر 1899م– 1983م، ماجستير، عبد الكريم بوصفصاف، كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية، قسم التاريخ و الآثار، تخصص التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة منتوري قسنطينة، قسنطينة، 2007م، ص261. [**]

– وقد اعتمدنا التاريخ الرسمي الذي دوّنه المدني في مذكرته، ينظر: أحمد توفيق المدني، مذكرات حياة كفاح، ج1، دار البصائر، الجزائر، 2009م، ص 07.

[4] – نفسه، ص 07.

[5] – محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، ج4، دار الغرب الإسلامي للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1985، ط 1، ص 263.

[*] – [**]أصول سلفه يعرفون بالقبيّ، هاجروا من غرناطة إلى الجزائر[**]. ينظر: محمد محفوظ، المرجع السابق، ص 263[*].

[6] – أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص 33.

أحمد توفيق المدني في هذا الشأن: "... ولدت سليل عائلتين من كرام المجاهدين المهاجرين الجزائريين..."[1]، تلقى أبوه علومه العربية بالجامع الكبير، أما جده فكان أمين الأمناء شيخ بلدية العاصمة الجزائرية[2]، وقد هاجر جده ووالده إلى تونس عندما اشتد الاضطهاد الفرنسي خصوصا سنة 1870م*، وهي عائلة شتّتها الاستعمار، بقي البعض منها بالجزائر والبعض الآخر منها بتونس[3]، أما أمه فهي عائشة بويراز بنت عمر بويراز* وكريمة ابن غشام*.

عاش الصبي توفيق المدني حياة ناعمة في وسط عائلة محافظة وثرية، وهي متكونة من أربعة إخوة تتقسم بدورها إلى ثلاث (3) ذكور هم: "الهادي"، "حسن" و"محمد علي"، وبنت واحدة هي "خديجة[4].

وأورد مترجمنا أنّ خلفيات تسميته باسم " توفيق " ترجع لأيام حرب طرابلس 1911م، عندما التقى القائد العام للجيش العثماني بليبيا " فتحي بك " في اجتماع أقامه المختار كاهية، وبسبب حيوية المدني وحدّة ذكائه رغم صغر سنّه استرعى انتباه القائد، فسأله عن اسمه، ثم دعاه منذ ذلك الوقت قائلا: "... أنت أحمد توفيق توفيق..."[5]، فشاع الاسم واشتهر به.

المطلب الثاني: العوامل المؤثرة في تكوين شخصيته

غفلت الدراسات السابقة عن ذكر بعض العوامل التي ساهمت في التأثير في شخصية مترجمنا متناسين بذلك بعض الأحداث، التي بالرغم من بساطتها إلا أنه كان لها تأثير كبير في صقل شخصيته، وعليه سنذكر أهمها:

---

[1]- أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 22.

[2]- نفسه، ص 33.

*- في مارس 1870م كان تاريخ صدور ما يعرف بأمر كريميو بمقتضاه تمنح الجنسية الفرنسية لليهود، كما كان من نفس السنة في مارس اندلاع ثورة قادها الأخوين المقراني، وانتهت بقتل الزعيم الثائر المقراني في 05 ماي من نفس السنة. ينظر: صالح علواني، أحمد توفيق المدني التونسي الجزائري المصلح والمناضل من خلال مذكراته 1915م- 1925م ، 2019/12/15، 10:00 صباحا، https://academia.edu.com، ص 02. *

[3]- محمد محفوظ، المرجع السابق، ص 263.

* - **عمر بويراز: هو ابن المجاهد مصطفى بويراز الذي كان قائد الفرسان في معركة اسطاوالي الشهيرة**، ينظر: أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص 34. *

*- غشام: من كبريات العائلة التونسية. ينظر: نفسه، ص 34. *

[4]- أمين شريف الزهار، مقابلة شخصية، جامعة البليدة، سعد دحلب، 4 مارس 2020م، 11:00 صباحا.

[5]- ** توفيق هو من الأسماء العثمانية المشهورة، فقد قال إحسان حقي في هذا الصدد أنّ من هم من أصول تركية يسمون أولادهم كعثمان، أدهم، نور الدين، توفيق، مراد**. ينظر: إحسان حقي، الجزائر العربية أرض الكفاح المجيد، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1961م، ط 1، ص 213.

1-1- البيئة الأسرية:

أثّرت البيئة الأسرية في شخصيته، لأن أسرته معروفة بأنها ثورية رافضة للاستعمار، فكان وهو في طور الصبا يستمع إلى ما يدور في مجالس عائلته[1] وهو في السادسة من عمره فقط، حيث عبّر عن ذلك قائلا: "... كانت تُروى على مسمع مني... وقائع معيّنة عمّا قاساه شعبي"[2]، من دروس قاسية وعنيفة حول أحاديث القتال والمقاومة والتضحية، تجاوب معها وتأثر بها مما يدل على ذكاء وقاد وسرعة تقبّل[3]، لأن مناخ العائلة كان بمثابة المدرسة الأولى التي جعلت منه مدرسة ثورية ثائرة، فأمه "عائشة بويراز" عملت على تعليمه سور القرآن وبعض الأحاديث النبوية[4]، وكل هذا ساهم في بناء شخصية ذو تربية حسنة وخلق حميد، أما أبوه فقد اجتهد هو كذلك في تربيته أحسن تربية، وكان يستفيد المدني كثيرا من نصائحه وإرشاداته، بينما دار جدّه –أي والد أمه– فساهمت هي الأخرى في تكوينه، وعبّر عنها بقوله: "... كانت دار جدي مدرسة حقيقية، سامية الأهداف..." [5].

كان يجتمع بها مع غيره من العائلة فيلقي عليهم جدّه مختلف الدروس الدينية، بعدها يعرج بالذكر عن الاحتلال الفرنسي للجزائر ومآسيه باستخدامه لعبارات مستفزة لشعور متلقيها إلى أن تسيل دموعه[6]، ودار خاله "محمد بويراز"[*]، كذلك كان لديها تأثير بارز عليه، فهي كانت بمثابة المدرسة التي أنارت فكره وأيقظت أحاسيسه قائلا:" هي المدرسة التي أنارت فكري... وألقت بي في ميادين الحياة العامة "، كما اغتنم المدني خروج خاله من البيت ليأخذ أعداد "العروة الوثقى والمؤيد واللّواء" ويتولى قراءتها بشغف، وهي تعدّ أولى الجرائد التي أثارت أفكاره وأطلعته على أخبار جديدة لم يسبق له معرفتها، بالإضافة، فإنّ تواجده بدار خال أمه جعلته يتصادم مع حقائق كان يعيشها المجتمع التونسي، أدّت إلى ذهوله من هول المناظر المخلّة بالحياء وانتشار الرذائل ظنّا منه أنه على حسب معيشته في وسط عائلي محافظ وثريّ هو نفس ما يعيشه المجتمع التونسي[7].

---

[1]- محمد محفوظ، المرجع السابق، ص 263.

[2]- أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص، ص 22- 23.

[3]- نفسه، ص 23.

[4]- نفسه، ص 39.

[5]- نفسه، ص، ص 40- 41.

[6]- نفسه، ص 46.

[*]- كان خاله من قرّاء مجلة العروة الوثقى والمؤيد واللّواء ولسان الغرب الوطني المصري. ينظر: نفسه، ص 49 .

[7]- أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص ص 49- 50.

1-2- عبد العزيز الثعالبي والمدرسة القرآنية:

أثناء حفل مقام بالمدرسة القرآنية الأهلية، برز من بينهم أحمد توفيق المدني الذي انزعج مما ألقاه "عبد الله بن مصطفى"[**] على وسام شرف الفرنسي " ليجيون دونور" بسبب خطابه الممجّد لفرنسا وأعمالها[1]، صعد المدني للرّد على أقواله مع مجموعة من الطلبة من خلال نشيد ألقوه أمام الحضور، بحيث لقي استحسان وتقبّل كبير[2]، وقام من بين الحضور "عبد العزيز الثعالبي"[*] ليخطب بكل حماسة في وسط ذهول وإعجاب كبير من مترجمنا، ما أوقد نارا داخلية وما أشعله حماسه قائلا: "... كان ذلك اليوم حدّا فاصلا بين عهد الطفولة... وعهد الشباب العامل المضحّي..."، مشيرا بتأثره قائلا: "... من سمعني أخطب، فكأنما يسمع الثعالبي في لهجته ونبراته، وقوة عارضته وشدة شكيمته..."[3].

1-3- حادث سينما النونيز:

قصة الحادث هي أنّ "أحمد توفيق المدني" ذهب مع ابن خاله إلى سينما بها أغلب الحضور أجانب "يهود، فرنسيين، طاليان"، وأثناء ابتداء العرض قدّم لهم شريط أخبار إيطالي يروي قصة نزول الطاليان في طرابلس بصفة غير واقعية كاستهزاء بالعرب، هذا ما أيقض الروح الثائرة به فأخذ يصيح "هذا تدليس، هذا كذب، هذا تضليل"[4]، فبالرغم من بساطة الحادث إلا أنه كان له المدلول الكبير والأثر البالغ في تكوينه الثائر[5]، والحاقد على كل من الطاليان والفرنسيين واليهود[6]، وهذا واضح في كتاباته.

---

[*] - [**]عبد الله بن مصطفى : هو أحد مؤسسي المدرسة القرآنية الأهلية التونسية. ينظر: أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص 48[**].

[1] - نفسه، ص 48.

[2] - نفسه، ص 78.

[*] - عبد العزيز الثعالبي: هو من الجنوب الشرقي الجزائري، اشتغل بالقضاء، بعدها تركه لينقطع إلى الزهد والعبادة، كما قام بالخطابة على منبر الجامع الأعظم بالجزائر، عكف على التدريس والتأليف، حيث ترك ما يزيد عن 90 مؤلفا في التفسير والحديث والفقه واللغة والتاريخ والتراجم، توفي في مارس 1471م، ودفن بزاوية بالجزائر العاصمة. للمزيد انظر: محمد هشام بلقاضي، معجم رجال الدين والإصلاح في العالم العربي، دار تلمسان للنشر، الجزائر، 2011م، ط 1، ص 159-163. [*]

[3] - أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص 79.

[4] - أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص 85.

[5] - نفسه، ص 85- 86.

[6] - نفسه، ص 87.

1-4- رواية الوطن ونشيد صوت الحرية:

هي رواية تمثيلية كتبها الشاعر التركي "نامق كمال"[1]، وقام بتعريبها "محي الدين الخياط"، ساهمت في توجيهه بدرجة كبيرة لأنها عملت على ترتيب وتهذيب وإحداث انسجام في آرائه وأفكاره، خصوصا تأثره بشخصية "إسلام بك" في القصة، أما نشيد صوت الحرية والوطن هو كذلك تأثر به، فلقد كان يمثل الإحساس الذي يخالجه ولا يستطيع التعبير عنه[2].

1-5- دكان علي بوغدير:

هو دكان صغير بسوق الكتيبة، يحتوي على العديد من الكتب، فلقد كان يمثل المأوى الذي يرتاح فيه من خلال اقتنائه لأشهر الروايات الأوروبية أمثال "شكسبير" shakespeare" و"ميشال زيفاكو" michel zivako" فقد اكتسب من خلالها معارف جديدة فتحت أمامه نافذة واسعة على عالم كان مجهولا بالنسبة له[3].

1-6- الأستاذ حسين الجزيري، الصادق الرزقي، حسين حسني عبد الوهاب:

أعجب أحمد توفيق المدني بمقالات "حسين الجزيري"* خصوصا مقاله ضد الخمر[4] الرامي لإصلاح المجتمع المنحل، حيث تأثر هذا الأخير بها والتي أعطت انطباعا وتوجها إصلاحيا، وهذا ما سيظهر لنا من خلال مقالاته المنشورة أثناء انضمامه لجريدة الفاروق وغيرها من الجرائد، أما "الصادق الرزقي"* كان يتردد إليه مترجمنا على مكتبه بالمدرسة الخلدونية لإعجابه بآرائه[5]، فقام بإهدائه مجموعة

---

[1] – ** نامق كمال : هو أديب تركي مشهور و صحفي و رجل دولة، كما أنه شاعر من رواد القومية التركية و ينتمي لحركة العثمانيين الشباب ولد في 21 ديسمبر 1841م في تاكير داغ و توفي في 2 ديسمبر 1888م عن عمر يناهز 48 عاما، عرف بشاعر الوطن و الحرية، و قدم آثارا، و أعمالا متنوعة بين الشعر، و النقد، و البيوجرافيا، و المسرح، و الرواية، و التاريخ، و المقالة، و من أشهر إنتاجه الأدبي رواية "انتباه" و عمله المسرحي "وطن ياخود سلسترا"، ينظر: 18 سبتمبر 2020م، 10 صباحا، https://ar.m.wikipedia;org/wiki.**

[2]- أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص ص 91 – 93.

[3]- نفسه، ص ص 96 – 97.

*- حسين الجزيري: يدعى حسين الجزائري، وهو واحد من كتّاب جريدة الفاروق. ينظر: أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص 102.

[4]- نفسه، ص 102.

*- صادق الرزقي: تونسي من بنزرت، درس بالزيتونة وأصدر مجلة العمران الاقتصادية سنة 1921م، ثم جريدة إفريقيا، من أبرز مؤلفاته نذكر: مسرحية عنترة. ينظر: خير الدين شترة، إسهامات النخبة الجزائرية في الحياة السياسية والفكرية التونسية 1900م- 1939م، دار كردادة للنشر، بوسعادة، الجزائر، 2013، ط2، ص 99.

[5]- أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص 97- 98.

من الكتب* تحتوي على إهداء كان له دور بارز في التأثير العميق على شخصيته، مما خلق له اندفاعا كبيرا نحو إنقاذ الوطن وإعادة المجد للإسلام، بالإضافة إلى الأستاذ "حسين حسني عبد الوهاب" الذي قام بتدريس المدني في جامع الزيتونة مادة التاريخ[1]، واستطاع أن يحببه في التاريخ، ويبدو ذلك جليا في التوجه التاريخي لحياته العلمية.[2]

1-7- عبد الحميد بن باديس والبشير الإبراهيمي:

أدى النضج المبكر واتساع أفق مترجمنا إلى التقائه مع الشيخين "عبد الحميد بن باديس" و"محمد البشير الإبراهيمي"، اللّذان كان لهما الأثر الكبير في شخصيته وحياته من خلال دفعه للتحرّك السياسي مع الزعيم التونسي "عبد العزيز الثعالبي"[3]، وهذا سيظهر جليا أثناء تعرضنا لنشاطه بالجزائر، حيث كان "أحمد توفيق المدني" كثير الإعجاب بهما خصوصا عبد الحميد بن باديس.[4]

1-8- العلاّمة ابن خلدون:

تأثر به باعتباره عالما مغاربيا ولد مثله في تونس وعاش مثله أزهى فترات حياته في الجزائر ومصر، فحسب ما ذكره لنا الدكتور "مولود عويمر" إلى أنه يوجد تشابه بين الرجلين كما أخذ عنه في أعماله التاريخية واستشهد به في كتاباته وأثنى عليه وكل ذلك ظاهر في تعامله مع الحادثة التاريخية في كتاباته، كما أشار أيضا إلى أن أحمد توفيق المدني طالب بإنشاء كرسيّ باسمه في الجامعات العربية خاصا بعلم الاجتماع وفلسفة التاريخ، كما اقترح تأسيس لجنة من الباحثين تجمع تراثه وتحققه تحقيقا علميا ، وكل هذا يبرز لنا مدى تأثره الشديد واحترامه الكبير للعلامة ابن خلدون.[5]

1-9- الأوضاع السائدة:

بمقتضى اتفاقية المرسى في 08 جوان 1883م التزمت الحكومة التونسية بإجراء الإصلاحات الداخلية من إدارية وعدلية ومالية التي تراها فرنسا مناسبة لمنح الباي حق الولاية على الرعايا التونسيين وإدارة شؤونهم الداخلية[6]، وهذه الاتفاقية ذكرت لفظة الحماية* لأول مرة[7] والملاحظ أنّ حكّام تونس خلال

---

* - الكتب التي أهداه إياها هي: "شرح بانت سعاد"، "نظم كعب بن زهير بن أبي سلمى"، " شرح جمال الدين عبد الله بن هشام". ينظر: نفسه، ص 98.

1- نفسه، ص 95.

2- أمين الشريف الزهار، مقابلة شخصية.

3- بسام العسلي، عبد الحميد بن باديس وبناء قاعدة الثورة، د.د.ن، د.ب، د. س، ص 170.

4- صالح علواني، المرجع السابق، ص 11.

5- مراسلة مع الدكتور مولود عويمر، 27 مارس 2020 م.

6- عبد الوهاب حسين حسني ، خلاصة تاريخ تونس، دار الكتب العربية الشرقية للنشر والتوزيع، تونس، 1953م، ط1، ص170.

* الحماية Le protectorat: هو نظام استعماري ظهر بعد مؤتمر برلين 1878م، يجعل دولة تحت وصاية دولة اجنبية. ينظر: عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص 03.

7- نفسه، ص 03.

هذه الفترة كانوا يخضعون للمقيم العام الفرنسي مما أدّى لتفاقم الأوضاع الداخلية وتدهور معيشة السكان من خلال إطلاق يد المستوطنين في نهب خيرات البلاد[1]، فعقب انتصاب الحماية نشأت الحركة الوطنية التونسية بكل أقطابها[2] ، وهذا ما شهد تأثيرا كبيرا لطبقة العمّال وأقطاب الفكر من الجزائريين والتونسيين على الساحة السياسية والفكرية في تونس، وكان منهم خلال بداية القرن 20م "الشيخ أحمد الورتلاني" وغيره، هذا ما جعل "أحمد توفيق المدني" ضمن هذه الكوكبة الذين وجدوا أنفسهم معنيين بالدفاع عن مطالب الشعب التونسي[3].

ومما ذكره كذلك في مذكرته أنه عاصر أحداث محزنة في حياة الأمة الإسلامية، و على وجه الخصوص الانقلاب الذي حدث عام 1909م ضد السلطان "عبد الحميد الثاني"[*]، بالإضافة إلى الغزو الإيطالي لطرابلس سنة 1911م، التي على إثرها جمع " توفيق المدني "حوله بعض المتحمسين من أبناء المدرسة يطوفون بالحارات والمقاهي للتحريض على الجهاد، محاولا في نفس الوقت جمع المال للهلال الأحمر العثماني[4] إضافة إلى حماسته لخطابة الناس وإلقاء قصائد " الرصافي " قائلا: "... ألا انهض وشمّر أيها الشرق للحرب..." وكل تلك الخطب أدّت واجبها بإزالة الخمول والتخاذل عن التونسيين لتكتسي بذلك ثياب البطولة[5]، بالإضافة إلى، أحداث الزلاج 07 نوفمبر 1911م[*] التي أحدثت ردود فعل غاضبة، ما جعلت "توفيق المدني" يضطرم غضبا وحقدا على الطاليان والفرنسيين بسبب المجازر التي ارتكبوها بغير حق[6] وكل هذه الأحداث تركت أثرا بليغا في شخصيته، وهكذا قادته جرأته في مواجهة السياسة

---

[1] - بوعزة بوضرساية، رواد المدرسة التاريخية الجزائرية، دار الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص ص 334- 335.

[2] - عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص 04.

[3] - بوعزة بوضرساية، المرجع السابق، ص 339.

[*] - [**]عبد الحميد الثاني: كان ملكا في زمانه أوتوقراطيا، يمتاز بالدهاء وبعد النظر والصلاح، وإذا كان قد ظهر منه شيء من الاستبداد فتلك كانت من شيم الملوك وتلك كانت مقتضيات الحكم في دولة تنهشها الذئاب من كل جانب[**]. ينظر: بشار عبد الكريم الجمل وآخرون، معجم الشخصيات التاريخية والعربية، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2007م، ص ص 218- 219.

[4] - أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص 65.

[5] - نفسه، ص ص 66 – 67 – 68.

[*] - [**]الزلاج: هي مقبرة توجد بتونس، انتهكت الحكومة الفرنسية حرمتها فحاولت مدّ خط الترام الكهربائي فيها، فقام الشعب التونسي بثورة للتعبير عن غضبهم، التي راح ضحيتها العديد من القتلى التونسيين و3 أو 2 من الفرنسيين والإيطاليين[**]، ينظر: جمال هاشم الذويب وآخرون، الموجز في التاريخ العربي، منشورات الجامعة المفتوحة، طرابلس، ليبيا، 1997م، ص376.

[6] - أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص ص 74- 76.

الاستعمارية في تونس بمختلف الوسائل وهذا ما سيتّضح أثناء تناولنا لنشاطاته في كلا القطرين ولإنتاجاته الفكرية والتاريخية.

المطلب الثالث: تعليمه.

انطلاقا من الوضعية الميسورة التي كانت عليها أسرة مترجمنا فإنه بالضرورة سيتأثر بوضع عائلته التي كانت على قدر من العلم والمعرفة، فوالدته "عائشة" كانت السبّاقة لوضع لبنته التعليمية الأولى، فهي التي علّمته الحروف الأولى العربية من خلال تعليمه القرآن الكريم والحديث حتى يتربى على مكارم الإسلام[1]، ففي كتاب المدرسة التاريخية يقول الأستاذ "بشير مديني" في مداخلته: "... والدته كانت تعلّمه قصار سور القرآن وبعض الأحاديث النبوية... "

كما كان لوالده نفس الدور[2]، بدأ الدراسة في الكتاتيب وحفظ القرآن وعمره خمس سنوات فقط[3]، التي كانت بمثابة ثاني محطة تعليمية، بالإضافة إلى تعلّمه فيها لشتى العلوم الدينية الأخرى.

ويذكر "المدني" أين تلقى أول درس عملي في حياته تمثل في حادثة الصبي "العمري"[*]، وعند بلوغه سن التاسعة كان من القراء الجيّدين للصحف التونسية[*] التي مكّنته من اكتساب ثقافة واسعة[5] هذا النبوغ هيّأه تهييئا حسنا لدخول المدرسة القرآنية الأهلية حيث التحق بها سنة 1909م وبلغ وقتها سن العاشرة[6]، والتي كان يديرها "محمد صفر"[7]، تلقى فيها مبادئ اللغة الفرنسية[8] واللغة العربية، إلى جانب

---

[1] - بوعزة بوضرساية، المرجع السابق، ص ص 335 - 336.

[2] - اتحاد المؤرخين الجزائريين، المدرسة التاريخية الجزائرية، وسام براس للإعلام والنشر والإشهار، الجزائر، 1998م، ط 1، ص 134.

[3] - ابراهيم بن عبد الله خزيمي، موسوعة أعلام القرن الرابع عشر و الخامس عشر هجري، المرجع السابق، ص 282.

[*] - [**]العمري هو صبي يدرس بكتاتيب لم يكن مطيعا ولا حافظا للقرآن، الذي انهال عليه المؤدب بالضرب المبرح والولد يصيح ويستغيث، فما كان أمام المدني إلاّ أنّ تدخّل وأوقفه قائلا: "... هذا حرام... والده أتاك لتعلمه وتؤدبه لا لتقتله..."، ينظر: أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص 42-43[**].

[*] - [**]الصحف هي: الراشدية، المرشد، التقدّم، المنبر، الاتحاد الإسلامي[**]، ينظر: بوعزة بوضرساية، المرجع االسابق، ص337.

[5] – أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص 43.

[6] – عائشة باجلول، سعيدة طلباوي، خصائص المقال عند أحمد توفيق المدني، المغيلي خدير، جامعة أحمد دراية، كلية الآداب واللغات، دراسات جزائرية، أدرار، 2016، ماستر، ص 38.

[7] – ابراهيم بن عبد الله خزيمي، موسوعة أعلام القرن الرابع عشر و الخامس عشر هجري، المرجع السابق، ص 282.

[8] – محمد نهري علام، المجمعيون في خمسين عام، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1982م، ص 32.

العلوم الدينية والرياضيات والحساب والكيمياء والعلوم الطبيعية.[1] وفي عام 1913م انتهت دراسته بالمدرسة القرآنية فتخرّج منها ملمّا بشتى العلوم على يد مختلف خيرة الأساتذة والشيوخ[2].

ثم انتقل في نفس السنة ليتلقّى تعليمه الثانوي بالمعهد الخلدوني على يد الأستاذ "حسين حسني عبد الوهاب"[3]، الذي أخذ عنه الحكمة وفصل الخطاب والتاريخ[4]، وبعد تتويجه بالنجاح انتقل مباشرة[5] ليكمل تعليمه العالي بجامع الزيتونة[6]، ليختار لنفسه فيها منهاجا مغايرا بحيث لا يتقيّد بامتحان، لأنه يطلب العلم من أجل العلم لا المنصب، فبذلك اختار دروسا على يد خيرة الأساتذة أمثال: "الشيخ النخلي في التفسير"، "الشيخ محمد بن يوسف في البلاغة"، "الشيخ صادق نيفر في الفقه، بالإضافة[7] إلى آخرين*، والملاحظ أنه أصبح شغوفا بالمطالعة مستعيرا بالكتب من دكان "علي بوغدير" التي فتحت له نافذة على تفكير العالم الغربي[9]، وفي سنة 1914م عزم المدني على ترك الدراسة في الجامع الأعظم "الزيتونة" لينظم إلى لجنة الشبان لتفجير الثورة في تونس.[10]

---

[1] – بوعزة بوضرساية، المرجع السابق، ص ص 337– 338.

[2] – أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص 94.

[3] – محمد خير رمضان يوسف، تتمة الأعلام للزركلي، دار ابن حزم للنشر، د. ب، د. س، د.ط، ص 29.

[4] – أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص 95.

[5] – بوعزة بوضرساية، المرجع السابق، ص 337.

[6] – حميد الجميلي وآخرون، موسوعة بيت الحكمة لأعلام العرب في القرنين 19 و20م، ج 1، بيت الحكمة، بغداد 2000م، ص 35.

[7] – أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص ص 337– 338.

* – **بالإضافة إلى الشيخ محمد بن شعبان في المنطق والفلسفة، الشيخ معاوية التميمي في آداب اللغة العربية**، ينظر: أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 338. *

[9]– عائشة باجلول، المرجع السابق، ص ص 39– 40.

[10]– أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 136.

المبحث الثاني: نشاطاته في القطرين.

كان المؤرخ والمفكر والسياسي "توفيق المدني" صاحب نشاط مميّز في المجال الفكري والسياسي في كل من تونس والجزائر على حدّ سواء مع اختلاف الفترة الزمنية، فشخصيته الثائرة منذ نعومة أظافره بلغت مرحلة النضج والعقلانية في كل تصرّفاته التي بلغها في مرحلته الأولى من نشاطه بتونس خصوصا مرحلة نشاطه بالجزائر.

المطلب الأول: نشاطه في تونس.

مرّ نشاط مترجمنا في تونس بمرحلتين قسّمناها على النحو الآتي:

1- نشاطاته السرّية:

إنّ بداية انطلاق نشاط المدني بتونس كان لها عدة اعتبارات كان أولها أنه ولد ونشأ فيها، وبالتالي أصبح تونسي الجنسية ما سمح له بخوض غمار هذا النشاط[1]، فالمتتبع لنشاطه بشقّيه الفكري والسياسي يلحظ تلك التجربة الثرية، وعليه سنذكر أبرز محطاته بها:

- كانت البداية الصحفية من خلال مطالعته للصحف التونسية السابق ذكرها في سن العاشرة من عمره[2]، خصوصا في دار خاله[3]، فكان يتفوق على زملائه بالمدرسة الذين كانوا ينادوا باسمه ويستمعوا لأحاديثه عن القضايا السياسية وحال الوطن، وعلى مستوى المدرسة القرآنية كان إلى جانب الدراسة يقوم برفقة زملائه بتبادل الصحف التونسية التي كانت تنمو فيها الروح الوطنية[4]، وبينما في سنة 1911م عندما هاجمت إيطاليا ليبيا كان يجمع حوله بعض المتمكنين من المدرسة يطوفون بالأسواق ويحرضون على الجهاد معتبرا إياهم –أي رواد المقاهي– أنهم أصبحوا من القواعد، بينما غيرهم يموت في سبيل الله والوطن، بالإضافة إلى ذلك، فإنه كان ينشط لجمع الأموال للهلال الأحمر العثماني.

وفضلا عن ذلك، كان يحفظ عن ظهر قلب كل القصائد للشاعر الرصافي ويلقيها على رواد المقاهي والأسواق الذين كانوا يتأثرون ويبكون أحيانا[5]، وفي معركة الزلاج كان من بين الذين يطوفون[6] مرددا بأعلى صوت قائلا: " نموت ولا نسلم زلاجنا..."، فأول كتاباته وتحريره لمختلف المواضيع التي تتكلّم

---

[1] – بوعزة بوضرساية، المرجع السابق، ص 340.

[2] – عائشة باجلول، المرجع السابق، ص 59.

[3] – أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص 48.

[4] – عائشة باجلول، المرجع السابق، ص 59.

[5]– محمد محفوظ، المرجع السابق، ص ص 264– 265.

[6]– أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص ص 66– 67.

عن الوطن وحالة المسلمين نلتمسها سنة 1913م خلال السنتين الأخيرتين له في المدرسة القرآنية، وقد كانت بأمر "محمد صفر" تنسخ وتعلّق عند باب كل قسم في المدرسة، وكانت تلاقي إقبالا كبيرا من الطلبة.[1]

فأثناء تواجده بدكان السيد علي بوغدير بسوق الكتيبة[2] تعرّف على "حسين الجزيري[3]، فعرض عليه أن ينضم إلى أسرة جريدة الفاروق الصادرة في الجزائر، وكان الجزيري يراسلها بانتظام أسبوعيا، حيث نشر المدني بها لأول مرة في نوفمبر 1914م مقالا بعنوان "الإدمان أول وزير الموت"[4]، ليتأكد بسرعة نجاح الطبعة الأولى، فتبعتها مجموعة أخرى تبرز موهبة المحرر الشاب، وبذلك تبعت تلك المقالات بمحاولة أخرى ظهرت في نفس الجريدة[5] تحت عنوان "دعوة إلى الواجب أو المرأة التونسية والتعليم"[6]، وعلى نفس المنوال كتب مقالات أخرى بانتظام أصدرتها نفس البيئة[7] جاء عنوانها "بين لجج الهواجس"[8].

كل هذا زاد الشاب "المدني" إصرارا لمحاربة الاستعمار الفرنسي، والذي كان بمثابة الباب الأول الذي دفع به تدريجيا نحو الحياة الفكرية والسياسية.[9]

فعلى إثر اندلاع الحرب العالمية الأولى ظهرت فكرة إعلان الثورة في تونس في ديسمبر 1914م بإيعاز من "المدني" و"الصادق الرزقي"[10]، وبقيادة "الحاج سعيد بن عبد اللطيف"[11] الذي كان يدرس

---

[1]- محمد محفوظ، المرجع السابق، ص 265.

[2]- أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص 265.

[3]- محمد محفوظ، المرجع السابق، ص 266.

[4]- التي تحدّث فيها عن آفة اجتماعية خطيرة ومحرّمة دينيا في أول الأمر، وانه يتوجب مكافحتها للحفاظ على الأمن العمومي للبلاد، ينظر: أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص 113.

[5]- الجيلالي صاري، بروز النخبة المثقفة الجزائرية (1850م- 1950م)، د.ب ، د.س ، د.ط، ص ص 281 - 282.

[6]- التي حثّ فيها الناس على دور تعليم النساء لأنهنّ المدارس المنشئة لجيل المستقبل، ينظر: أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص من 114 إلى 116.

[7]- الجيلالي صاري، المرجع السابق، ص 282.

[8]- داعيا فيه متلقي مقاله بأنه مهما بلغ الوطن التعاسة لا يحق له اليأس بل الواجب عليه بذل الجهد الوافي وتعليق أفكاره بالأمل حتى يأتيه الإنقاذ، ينظر: أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص 116، وللتعمق أكثر ينظر: نفسه، ص من 132 إلى 134.

[9] - عمر بن قينة، أعلام وأعمال في الفكر والثقافة والأدب، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2000، ص 112.

[10] - محمد بوطيبي، دور المهاجرين الجزائريين في الحركة الوطنية التونسية في مطلع القرن 20م، أحمد توفيق المدني أنموذجا، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة المسيلة، ع 3، ديسمبر 2013م، ص 03.

[11] - يحي أبو زكريا، الحركة الإسلامية في تونس من الثعالبي وإلى الغنوشي، د.د.ن، د.ب، 2003م، ص 20.

الخطط في اجتماعات سرية، ثم تم تكليف "المدني" بالاتصال بقبائل بني زياد في الجنوب التونسي، ولتحقيق ذلك اعتمد هذا الأخير طريقة ذكية تمثلت في التجارة بمدينة "قابس"[1]، اتخذها للتستر بها في سبيل تحضير الأسلحة للانتفاضة[2]، وفي نفس الوقت قام بنشر قصائد الشاعر "خزندار" على الناس ليثير فيهم الحماسة على النضال، إلا أنّ هذا المشروع لم ينجح بسبب وشاية "الجاسوس البشير بوخريص"[3] للأمن الفرنسي، ليتم بذلك سجنه فورا بسبب نشاطه في صلب لجنة الشبان الثوريين.[4]

وعلى الرغم من دخوله السجن وهو يبلغ 16 سنة فقط من عمره إلا أنه بقي قوي العزيمة ثابت على مبادئه، وبذلك استغلّ وقته في تكوين نفسه[5]، واغتنمه بالاستزادة من مختلف العلوم والمعارف ومختلف الروايات بالفرنسية التي ناوله إياها حارس الزنزانة الكوروسكي "ميسيو فورك" Mission forke، بالإضافة إلى الكتب التي أحضرتها له عائلته خصوصا من أخيه "الهادي المدني" ونذكر بذلك كتاب "ميمنتو لاروس" mimento larus وغيرها، فضلا عن ذلك حصوله على كل من جريدة "الزهرة" و"المستقبل" من "صالح الأحمر"[6]، فمن خلاله أصبح يتقن الفرنسية[7]، كما نظم قصيدة من النثر المنظوم وبقي على اتصال بالأحداث الجارية عالميا[8]، ويشير "أحمد توفيق" إلى أنّ السجن كان له دور صحي وأخلاقي عليه بالرغم من الرذائل والفسوق الذين كان يتميز بها محيط السجن.[9]

بالإضافة إلى ذلك فإنّ "المدني" تلقى تدخّل عدّة أطراف من أجل إخراجه من السجن أمثال المحامي "راوول شايلي"raul shailey الذي تعمد تزوير شهادة ميلاد المعني لتاريخ 16 جوان 1899م بمساعدة من شيخ بلدية تونس لتجنيبه من المحاكمة العسكرية ولتخفيف مدة بقائه في السجن، إلا أنّ "المدني" بقي رهن الاعتقال حتى أواخر أكتوبر 1918م* وهو تاريخ قرار الجنرال "أليكس" Alix بإطلاق

---

[1] – محمد محفوظ، المرجع السابق، ص 266.

[2] – محمد بوطيبي، المرجع السابق، ص 03.

[3] – محمد محفوظ، المرجع السابق، ص 267.

[4] - Ali merad, Reformisme musulman en Algérie de 1925 à 1940 essai d'histoire religieuse et vsociale, les editions elhikma, Alger, p 104.

[5] – أمال معوشي، أحمد توفيق المدني في لمحة عن إسهاماته الثقافية ودوره الدبلوماسي في الثورة الجزائرية، مجلة البحوث التاريخية، الجزائر، ع 1، 01 مارس 2019م، ص 197.

[6] – أمال معوشي، أحمد توفيق المدني في لمحة عن إسهاماته الثقافية ودوره الدبلوماسي في الثورة الجزائرية، المرجع السابق، ص 175- 177.

[7] – نفسه، ص ص 200- 201.

[8] – نفسه، ص 201- 203 .

[9] – نفسه، ص ص 203 – 204.

* – **ذكر المدني بأنه أطلق سراحه في غرة نوفمبر 1918م، بينما عبد القادر خليفي أشار إلى أنه ربما يعود سبب حصول ذلك لإجراءات قانونية لدى السلطة الفرنسية، وأنّ والد المدني طلب من زملائه مساعدته في إمضاء وثيقة تنص على أنّ ابنه المدني لن يرجع مرة أخرى لممارسة السياسة**. ينظر: أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص 206، وأيضا: عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص 74.

سراحه[1]، وتزامن ذلك مع نهاية الحرب العالمية الأولى، وقتها خرج يردد قائلا: "... غادرت سجني وأنا أضطرم نارا..." [2] لتنفتح بذلك نفسيته مرة أخرى لممارسة نضاله السياسي خلال مشاهدته لمظاهرات 11 نوفمبر 1918م، وهكذا ففي سنة 1919م انطلق مترجمنا لعقد اجتماعات سرية ولإتصالات أجراها مع بعض السياسيين تمثلت في كل من: اجتماع مطبعة محمد التليلي" تمثل كأول اجتماع سري للمدني في نهج جامع الزيتونة[3] حضره مجموعة من الشخصيات البارزة وعلى رأسهم "أحمد توفيق" و"أحمد المنستيري" وآخرون، وفيه تم مناقشة قضايا الوضع الدولي من أهمها بنود ويلسون 14 التي حملت في طياتها مبدأ تقرير المصير، وكذلك طرح القضية التونسية في مؤتمر الصلح، حيث تعرّف "المدني" فيه مرة أخرى على "الثعالبي"، إضافة إلى ذلك، نذكر "اجتماع مدرسة السّلام" الذي كان بمثابة المكان الذي تُدرس فيه أهم القضايا الهامة في العالم الإسلامي، وكان من أبرز الحضور[4] " أحمد توفيق المدني" و"صالح بن يحي" وآخرون[5]، كما تعرّف فيه مترجمنا على كل من "علي كاهية" و"خزندار" و"عبد الحميد بن باديس" و"البشير الإبراهيمي.[6]

2- نشاطاته العلنية:

انتقلت نشاطات "أحمد توفيق المدني" السرية في منتصف سنة 1920م إلى علنية وبصفة رسمية وذلك من خلال:

- انضمامه للحزب الحر الدستوري في منتصف شهر ماي سنة 1920م[7]، فعمل على ربط علاقاته مع الأعضاء البارزين فيه ليصبح ضمن اللجنة العليا للحزب، وعلى إثر غياب "الثعالبي"[8] قام "المدني" نفسه بضبط وتنظيم الحزب وحساباته المالية في مكتب "الطاهر بن حمودة المنستيري"[9] بالإضافة إلى أنه كتب عريضتين باللغة العربية والفرنسية مطالبا الحكومة الفرنسية بالسماح لتونس الحصول على مجلس

---

[1] - عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص ص 73- 74.

[2] - أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص 223.

[3] - نفسه، ص ص 213- 214.

[4]- محمد بوطيبي، المرجع السابق، ص 04.

[5] - أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص 217- 220.

[6] - نفسه، ص 222.

[7] - نفسه، ص 242.

[8] - يوسف مناصرية، دور النخبة الجزائرية في الحركة الوطنية التونسية بين الحربين العالميتين، دار هومة للنشر والتوزيع د.ط، ص 80.

[9] - محمد بوطيبي، دور المهاجرين الجزائريين في الحركة الوطنية التونسية ما بين 1900م- 1930م، دار الهدى للنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2010، د ط، ص ص 157- 158.

تشريعي مع التأكيد على مبدأ التساوي في الحقوق والواجبات[1]، ونشر التقارير الأمنية، إلا أنّ "المدني" كان يتقاضى في الحزب مبلغا شهريا قدره 600 فرنك وهو خمس ما كان يتقاضاه رئيس الحزب "الثعالبي"[2]، حيث يقول الدكتور "عبد اللطيف حناشي" أنّ "توفيق المدني" كان من ضمن الوفد الذي مثّل الحزب لشرح القضية التونسية[3]، ليقوم بعدها – أي المدني– ورفاقه بإنشاء مجلة "الفجر" بشارع البنات بقيادة "الشيخ راجح إبراهيم"، وأسندت إدارتها وتحريرها لمترجمتنا، فأخذ ينشر فيها مقالات مهمة.

شارك مع اللجنة التنفيذية للحزب لتجهيز وفد من 40 عضوا من مختلف فئات الشعب من "عمّال وتجّار وفلاحين" لمقابلة الملك "ناصر باي" في قصره ببلدة المرسى يوم 08 جوان 1920م[4]، وفي إطار الحزب سنة 1921م اجتمع المدني مع أبرز الأعضاء في الحزب وتحت إشراف الشيخ "الثعالبي" – بعد الإفراج عنه وعودته للبلاد –[5] تقرّر تأسيس اللجنة التنفيذية الثانية يتمثل أبرز أعضاءها في "أحمد توفيق المدني" الذي تقلّد منصب أمين عام مساعد للقلم العربي بالإضافة إلى آخرين[6] .

ومن مآثر "المدني" في الحزب هو قيامه بالعديد من الاتصالات في كل أنحاء تونس لجلب المنخرطين وتحفيزهم على الثورة إلى جانب زميله "اليعلاوي"[7]، كما أسّسوا المزيد من الصحف الأسبوعية، ونذكر من أهم الصحف التي كان ينشر فيها هذا الأخير هي كل من: "جريدة الأمة، الاتحاد، العصر الجديد، الوزير، الصواب[8]، إفريقيا[9]، تحت اسمه المستعار "المنصور"[10]، خصوصا مقاله "حرب الريف والمجاهد عبد الكريم الخطابي" الذي كان من بين المقالات التي أدت به منفيا خارج تونس، ولم تصل مقالات "المنصور" ربوع البلاد التونسية بل وصلت لمدينة اللاهور بالهند بجريدة أسبوعية تدعى المنصور

---

[1]– أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص ص 243– 244.

[2]– محمد بوطيبي، المرجع السابق، ص 158.

[3]– ك.م، عبد اللطيف حناشي، اللجنة الجزائرية بتونس، "احمد توفيق المدني كان نموذجا للمثقف العربي الثوري"، جريدة التحرير، 29 فيفري 2020، الثالثة زوالا، www.altahrironline.com.

[4]– محمد بوطيبي، المرجع السابق، ص 158– 159.

[5] – خير الدين شترة، إسهامات النخبة الجزائرية الحياة السياسية والفكرية التونسية (1900م– 1939م)، المرجع السابق، ص103.

[6] – أحمد القصاب، تر: حمادي الساحلي، تاريخ تونس المعاصر 1881م– 1956م، الشركة التونسية للتوزيع، تونس 1986م، ط 1، ص 504.

[7] – خير الدين شترة، إسهامات النخبة الجزائرية الحياة السياسية والفكرية التونسية (1900م– 1939م)، المرجع السابق، ص 103.

[8] – أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص 329– 331.

[9] – شارل روبير أجيرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، المرجع السابق، ص 516.

[10] – أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص 331.

تدافع عن الإسلام[1] وكان بعد ذلك سندا " للجنة الدّفاع عن حقوق سوريا وفلسطين" التي مثّلها "شكيب آرسلان".[2]

ومن أهم مساهمات مترجمنا أيضا هو إقباله على إنشاء جمعية الخلافة التي حاول فصلها ظاهريا عن الحزب[3]، وتمثّل هدفه من ذلك في اغتنامه لفرصة حماس الجماهير لتحريك الساحة السياسية الخامدة منذ حوادث أفريل 1922م، ولتمويل الحزب الذي كان يعاني أزمة حادة سنة 1923م بسبب فشله في الحصول على المطالب من الفرنسيين[4].

وفضلا عن ذلك، فإنه مع سنة 1924م أسس المدني "تقويم المنصور"، كما نشر رسالة "تونس جمعية الأمم"[5]، ومن نفس السنة تمكّن المدني من تأسيس نقابة عمّال تونسية مع أعضاء اللجنة التنفيذية* كمحاولة منه لجمع شتات العمّال والقيام بواجب المطالبة بحقوق الحركة العمالية، واستطاع جمع الأموال للحركة قدّرت بـ: 5000 فرنك من صندوق الحزب الجزائري الدستوري، وفي إطار رفع المستوى العلمي والفكري قام المنصور رفقة مجموعة[6] من عصبة رجال الفكر والقلم بتأسيس ما يعرف بالرابطة القلمية، وتقلّد فيها – المدني– منصب كاتب عام بالإضافة[7] إلى آخرون*، كما قام فيها[8] بعقد العديد من الاجتماعات التي قدّم من خلالها نشاطات ثرية في سبيل القومية التونسية، إلاّ أنّ هذه الرابطة لم تعمّر طويلا على إثر صدور قرار إبعاد مترجمنا سنة 1925م .

---

[1] – أمين شريف الزهار، مقابلة شخصية.

[2] – محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، المرجع السابق، ص 271.

[3] – خير الدين شترة، إسهامات النخبة الجزائرية، المرجع السابق، ص ص 109– 107.

[4] – إسماعيل ياغي، تاريخ العالم العربي المعاصر، مكتبة العبيكان للنشر والتوزيع، الرياض، 2000م، ط1، ص ص321– 322.

[5] – أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص 334.

* – أمال معوشي، أحمد توفيق المدني في لمحة عن إسهاماته الثقافية ودوره الدبلوماسي في الثورة الجزائرية، أمثال: "الطاهر صفر"، "الطاهر حداد"، "أحمد الدرعي"، ومساندة "محمد علي الحامي". ينظر: محمد بوطيبي، المرجع السابق، ص 169.

[6] – نفسه، ص 196– 170.

[7] – أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص ص 452– 453.

* – **بالإضافة فإن محي الدين القليبي وعثمان الكعاك تقلّدا منصب كاتب، وزين العابدين النوي تمثل منصب أمين عام**، ينظر: نفسه 452.

[8] – **نصّت الرابطة القلمية على مجموعة من القواعد تمثلت في التزام الكتّاب والمفكرين برفع المستوى العلمي والسياسي للشعب التونسي، ابتعاد الكتّاب والمفكرين عن خدمة مصالحهم الشخصية **، ينظر: سمية تينة، أحمد توفيق المدني، دوره الثقافي والسياسي في الجزائر (1925– 1962) ماستر، أمير بوغدادة، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، شعبة التاريخ، تخصص تاريخ معاصر، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2016، ص ص16– 17.

الإبعاد إلى تونس وأبرز المواقف:

تعدّ سنة 1925م السنة الفاصلة في حياة مترجمنا بفعل نشاطاته السياسية، حيث أمرت الحكومة الفرنسية يوم 15 جانفي 1925م بتفتيش منزل "توفيق المدني" غير أنّ استمراريته في النشاط جعل الحكومة تصدر قرار نفيه إلى الجزائر في 06 جوان 1925م بحجة أنه جزائري الأصل خصوصا بعد مقالته حول حرب الريف و"عبد الكريم الخطابي"[1]، ويذكر "الجابري" في هذا الشأن أنّ غاية وهدف السلطات الفرنسية من الإبعاد لم تكن ترمي إلى إعادته إلى وطنه، وإنما تمثل هدفها الأساسي في تحطيم قوة الحزب الحر الدستوري الذي هدّد مصالحها[2] لتقوم هاته الأخيرة ببعثه خالي الوفاض لموطنه الأم – أي الجزائر – وسلّم بذلك إلى مفتش أمن عنابة.

وعلى إثر شيوع خبر إبعاد المنصور تبلورت منه مجموعة من الردود يأتي في مقدمتها الشعب التونسي الذي قابل نفيه للجزائر بأسى وأسف شديد ما دفع بهم للقيام بمظاهرات حاشدة مساندة لـ"توفيق المدني" وكاعتراف منهم بالجميل والتقدير على مجهوداته ونضاله بجانبهم منذ شبابه ويشير"الجابري" بقوله:"...كان متألما لآلامهم، مخففا عنهم آثار المحنة..."، وكل هاته الردود تدل على شيء واحد وهو مكانة الرجل وتأثيراته السياسية على الساحة التونسية، كما ارتأت الصحافة التونسية هذه الحادثة كفرصة جديدة للتنديد بالسياسة الاستعمارية، فبسبب هذا القرار التعسفي ثارت مجلة العرب[3] والوزير بقيادة "الطيب بن عيسى القراوي".

كما نشر "محي الدين القليبي" مقالا باسم "عصام" وقوفا مع زميله "المدني"[4]، و قد أعلمنا حفيد مترجمنا "أمين شريف الزهار" بأنه على الرغم من الجهود التي بذلها "المدني" في الحزب الحر الدستوري إلا أنه مع نفي جدّه سكت الحزب عن مساندة "أحمد توفيق المدني" والوقوف ضد قرار الحكومة المجحف[5]، وكأنّ مترجمنا لم يكن بالنسبة لهم شيئا، وقد بحثنا كثيرا عن شيء يدل على موقفهم إلا أننا لم نجد شيئا يثبت ذلك، حتى ما يمكن ملاحظته في الكتب التي تتحدّث عن الحزب نجدها أنها لم تتعرّض أبدا لذكر حتى اسمه كعضو بارز في الحزب أو تعرج لذكر نشاطاته فيه بالرغم من أنّه لا يمكن لأحد إنكار فضله ومجهوداته المبذولة فيه، وما يدعم رأينا هو ما قاله التونسي "عبد اللطيف حناشي" حول ما قدمه مترجمنا

---

[1] – محمد بوطيبي ، المرجع سابق، ص ص 09– 10.

[2] – محمد صالح الجابري ، النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900م–1962م، دار الحكمة للنشر والترجمة، الجزائر، 2007م، ص 276.

[3] – محمد صالح الجابري، المرجع السابق، ص 280.

[4] – نفسه، ص ص 281– 282.

[5] – أمين شريف الزهار، مقابلة شخصية.

لتونس قائلا: "... إن توفيق المدني شخصية ثرية بنضالها الثوري... تعتزل نشاط النخبة الجزائرية التي أقامت بتونس..." [1]، وما قاله الشاعر "خزندار" معترفا ببطولاته ومواقفه الوطنية قائلا:

هذا الأبي التونسي *** هذا هو الوطني الممجد

هذا هو المنصور *** بل هذا هو المدني أحمد...

هذه مواقفه *** ومازالت هنا وهناك توجد"[2]

بالإضافة إلى ذلك، فإنّ مترجمنا كان لديه رد على إبعاده الظالم، وعليه فقد طالب بمحاكمته بالمحاكم التونسية[3]، ونظرا لتقاعس وتجاهل الإدارة الإستعمارية لمطالبه، نشر هذا الأخير على جريدة النجاح مقالا تحت عنوان "وداعا ولكن إلى الملتقى"، وهكذا انتهى عهد مترجمنا النضالي على الساحة التونسية.[4]

المطلب الثاني: نشاطاته في الجزائر.

يعدّ أحمد توفيق المدني ذو التكوين التونسي أحد الأعضاء البارزين الذين ساهموا مساهمة فعّالة في فترة ما بين الحربين[5] بالإضافة إلى عمله الدبلوماسي الغنيّ بجانب جبهة التحرير الوطني أثناء الثورة، فضلا عن ذلك نشاطاته الكبيرة التي قام بها هذا الأخير أثناء الاستقلال عام 1962م، وعليه اعتمدنا في سرد ذلك بتقسيمها لثلاث مراحل جاءت كالآتي:

– قبل التحدث عن بروزه في ساحة الحركة الوطنية الجزائرية وجب الإشارة إلى أوضاعه بعدما تم إبعاده من طرف السلطات الفرنسية، استقرّ المنصور* بضعة أيام في مدينة قسنطينة والتقى هناك مجموعة من معارفه*، تحدّث معهم حول الأوضاع السائدة في الجزائر وما آل إليه المجتمع الجزائري بسبب الطرقية، وقد ذكر مترجمنا أنه تحدّث مع "عبد الحميد بن باديس" الذي أطلعه على مشروعه الجديد المتمثل في إنشاء جريدة أسبوعية تسمى "الشهاب"، وطلب "توفيق المدني" أن يوليه تحريرها خاصة

---

[1] – عبد اللطيف حناشي، النخبة المثقفة الجزائرية بتونس، المرجع السابق.

[2] – محمد بوطيبي، المرجع السابق، ص 10.

[3] – أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص 461.

[4] – محمد بوطيبي، المرجع السابق، ص 10.

[5] – علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، المرجع السابق، ص 137.

* – **كان يحرر المنصور في جريدة النجاح عن السياسة الخارجية وكان يمضيها تحت اسم "الخبير" ويتلقى منها 50 فرنكا شهريا**، ينظر: محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين ، المرجع السابق، ص 279.

* – **أمثال: عبد الحميد بن باديس، مبارك الميلي، معلم أحمد، بن الموهوب**. ينظر: أحمد توفيق المدني، مذكرات حياة كفاح، ج 2، م.ج.2، عالم المعرفة للنشر، الجزائر، 2010م، ص ص 21– 41.

السياسة الداخلية والخارجية للجزائر، مشترطا عليه أن تكون مقالاته لا تحمل اسما مستعارا حتى تسلّم بذلك الحركة الناشئة من إنسابها للحركة الدستورية التونسية. [1]

بعدما استقرّ بالعاصمة عند أقاربه حيث تزوج هناك وكوّن عائلة[2]، وتعرّف آنذاك على أهم الشخصيات البارزة نذكر على سبيل المثال "فرحات عباس"، كما قام بخطابة الناس لأول مرة بالمسجد الحنفيّ الذي لقي فيه ترحابا واسعا، كما لا ننسى الرحلات الداخلية التي أقامها "المدني" للاستطلاع على مختلف الجهات الجزائرية شرقا، جنوبا وغربا غاية منه للتطلّع على حقيقة الحالة من الناحية السياسية والاجتماعية[3]، بمرافقة بعض الرفاق*، وفي سنة 1926م سمحت الحكومة الفرنسية "للمنصور" بالارتحال إلى تونس لسوء حالة والديه الصحية، إلا أنه لقي الإبعاد* مرة أخرى بسبب إعادة الالتحام برفاقه من أعضاء اللجنة التنفيذية ليعود مترجمنا للجزائر ويباشر بذلك نشاطه التجاري الذي لم يفلح فيه، لينصرف بعدها مرة أخرى لممارسة السياسة وعليه برزت نشاطاته تبعا للمراحل الآتية:

1- المرحلة الأولى: الحركة الوطنية 1926م- 1954م:

1-1- نادي الترقي:

تأسس في 03 جويلية 1927م* بالجزائر العاصمة، حيث يذكر "توفيق المدني" أنها كانت فكرته أثناء حفل مقام بدار "محمد المرابط" سنة 1926*، أما بالحديث عن أهم أعضاء النادي فهو يتشكّل من

---

[1] – أحمد توفيق المدني، مذكرات حياة كفاح، ج2، المصدر السابق، ص ص 21- 41.

[2] – بوعزة بوضرساية، المرجع السابق، ص 347.

[3] – أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص 93 – 152.

* - **نذكر بذلك كل من: محمد رضا بن الأكحل ومحمد الموهوب ونور الدين الشريف**. ينظر: نفسه، ص ص 33-152.

* - **ينظر: الملحق رقم 02**.

* - **اختلفت الكتابات التاريخية حول تأسيس نادي الترقي، ذكر خيثر عبد النور أنه أسس سنة 1926م، في حين أشار أحمد مريوش أنه أسس في 13 جويلية 1927م، بينما المدني فإنه ذكر بأن الاجتماع كان سنة 1926م وترسيمه كان في 03 جويلية 1927**. ينظر: خيثر عبد النور وآخرون، منطلقات وأسس الحركة الوطنية (1830- 1954)، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، د.س، الجزائر، ط.خ، ص 130، أيضا: أحمد مريوش، الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية، دار هومة للنشر، د.س، الجزائر، د.ط، ص 128. أيضا: أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص 169.

* – ** اعتمدنا في ذلك التاريخ المدوّن في مذكرات حياة كفاح**، ينظر: أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص169.

"محمود بن ونيش الرئيس الأول، محمد بن مرابط، أمين الجمال" بالإضافة إلى "أحمد توفيق المدني"[1] وآخرون*، ويرى "المنصور أنه كان مركز انطلاقة النهضة الحقيقية في الجزائر[2]، وكمركز لإلقاء الدروس الدينية والاجتماعية التي تعالج مشاكل المجتمع الجزائري، و قد كان يعد المدني من بين الشخصيات التي كانت تلقي فيه المحاضرات.

بالإضافة إلى الدور الهام الذي قام به في جملة من نشاطات نادي الترقي التي تمثلت في: تأسيس جمعية الفلاح، جمع شمل وحدة النواب الجزائريين المسلمين، تنظيم اجتماع مؤتمر طلاب شمال إفريقيا، تأسيس الجمعية الخيرية الإسلامية الكبرى، مقاومة سياسة التجنيس والاندماج مساعدة الكفاح الفلسطيني، مقاومة تبشير المسيحي وتكوين جمعية الزكاة".[3]

2-2- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

ذكر مترجمنا أنه بسبب الاحتفال الفرنسي بالذكرى المئوية لاحتلال الجزائر دفع به للاجتماع مع ثلاثة من المصلحين* وأجمعوا على تأسيس هيئة للعلماء تجمع شملهم وتوحّد صفوفهم[4] ويضيف أنه شخصيا من كتب الدعوات لمختلف علماء الجزائر للحضور، فيذكر في هذا الشأن "بوصفصاف" متدخلا بقوله أنه بالرغم من أنّ فكرة إنشاء الجمعية تحت أي اسم من الأسماء فقد أثيرت عشية الحرب العالمية الأولى ونادى بها "بن باديس" و"الإبراهيمي" سنة 1924م، ودعت إليها جريدة الشهاب سنة 1925م[5]،

---

[1] - أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص 168- 169، وينظر أيضا: قمير قوادرية، الجمعيات والنوادي الثقافية ودورها في الحركة الوطنية (1900م- 1989م)، بن صغير زكريا، جامعة محمد خيضر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تاريخ معاصر، بسكرة، 2015م، ماستر، ص 54.

* هم ممادا المناضلي وعمر ابن الموهوب. ينظر: نفسه، ص 54.

[2] - الوناس الحواس، نادي الترقي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية، د.ج، كنوز الحكمة للنشر، الأبيار، الجزائر، 2012م، د ط، ص 144.

[3] - بسام العسلي، المرجع السابق، ص 172.

* - ** المصلحين الثلاثة هم: محمد العاصيمي، عمر إسماعيل، محمد عبابسة**. ينظر: أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص ص 254- 258.

[4] - نفسه، ص ص 254- 258.

[5] - عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأولى، د.ج، دار مداد للنشر، قسنطينة، 1996م، ط 2، ص ص 132- 133.

وهذا ما يتوافق معه أيضا كل من "محمد خير الدين[1] و"محمد حماني"[2]، وأضاف "بوصفصاف" قائلا: "إلا أنّ الأستاذ المدني يؤكد بأنّ التفكير في إنشاء هذه الجمعية هو وليد عام 1930م فقط.[3]

وتشير الدكتورة "أنساعد" في كتابها إلى أنّ التحاق "المدني" رسميا بجمعية العلماء المسلمين كان عام 1951م كعضو في هيئتها التنفيذية إلى جانب كل من "مبارك الميلي" و"محمد العيد"[4]، ويرجع "المدني* بأنّ سبب انسحابه في الأول يعود إلى اهتمامه بالحركة الناشئة وسمعتها حتى لا تنسب للحزب الحر الدستوري التونسي، بالإضافة إلى ذلك فإن القانون الداخلي* للجمعية يحرّم الاشتغال بالسياسة[5]، إلا أنّ ذلك لم يمنعه من الانخراط في النضال السياسي والإعداد للثورة من أجل الاستقلال[6]، فقد عمل "المدني" كمسؤول في مجلة الشهاب بطلب من رئيسها بن باديس[7]، حيث سُعِدَ "المنصور" لتمكّنه من استخدام هذا المنبر الذي أصبح من خلاله المعلق السياسي على أخبارها والمفوض كرونيكور Chroniqueur وأحد أبرز محرّريها الدائمين تحت اسمه المستعار "المنصور"[8]، فقد حاول فيها طرح أحداث المغرب العربي والسياسة العالمية العربية[9]، وتمثل مقاله الأول فيها عن موقفه الرافض للتجنيس الذي جاء تحت عنوان "بين الموت والحياة"[10]، كما أشار كل من "عمار بوحوش " و" أبو القاسم سعد

---

[1] – ينظر: محمد خير الدين، مذكرات، ج1، مطبعة دحلب للنشر، حسين داي، الجزائر، 1985م، د.ط، ص ص 104– 105.

[2] – ينظر: محمد حماني، صراع بين السنة والبدعة، ج 1، دار البعث للنشر، د.ب، د.س، د.ط، ص ص 317– 318.

[3] – عبد الكريم بوصفصاف، المرجع السابق، ص 133.

[4] – سميرة أنساعد، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري، دار الهدى للنشر، عين مليلة، الجزائر، 2009م، د.ط، ص94.

[*] – [**] قام المدني بتحرير القانون الأساسي للجمعية وترجمه للفرنسية الأمين العمودي. ينظر: سمية تينة، المرجع السابق، ص 59 [**] .

[*] – [**] القانون الأساسي للجمعية يقول لا يصوغ لها بأي حال من الأحوال أن تخوض أو تتدخل في المسائل السياسية، لكن هذا النص لم يكن إلا تقية حتى يحصل على رخصة قانونية من الإدارة الفرنسية[**]. ينظر: جمال عبد الهادي، محمد مسعود وآخرون، المجتمع الإسلامي المعاصر، إفريقيا، دار الوفاء للنشر والتوزيع، د.ب، د.س، ص 58. [*]

[5] – صلاح العقاد، الجزائر المعاصرة، د.ج، مكتبة الإسكندرية للنشر، د.ب، 1963م، 1964م، ص ص 28– 29.

[6] – جمال عبد الهادي، محمد مسعود، المرجع السابق، ص 58.

[7] – عمار بوحوش، التاريخ السياسي الجزائري من البداية إلى غاية 1962م، دار الغرب الإسلامي للنشر، بيروت، 1997م، ط 1، ص 249.

[8] – علي مراد، المرجع السابق، ص 137.

[9] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 7، الدار البيضاء للنشر، حسين داي، الجزائر، 2007م، ط خ، ص418.

[10] – ينظر في هامش كتاب : أحمد مريوش، المرجع السابق، ص 46.

الله" أنّ المدني كان وقتها على صلة وصل مع "أرسلان"[1] وزعماء المغرب[2]، في حين يذكر "محمد محفوظ" أنّ معظم مقالاته بها كانت خالية من الإمضاء نذكر بذلك مقال "كلمة صريحة"[3]، كما كان يكتب عن أوضاع طرابلس الغرب لتأثره الكبير بالاحتلال الإيطالي في ليبيا حيث قام بنشاط كثيف من أجل مساندة إخوانه الليبيين[4]، وأثناء الحرب العالمية الثانية ساهم أيضا في التحرير بجريدة "الإصلاح" للطيب العقبي[5] وذكرت له جريدة "الإصلاح" خطابه بمناسبة يوم الجمعية الخيرية الإسلامية[6]، بالإضافة إلى مقاله تحت عنوان "إنذار اليأس[7]، وبعد الحرب أصبح "المنصور" من محرري جريدة البصائر خصوصا باب السياسة العالمية[8]، ونذكر بذلك مقالاته الأسبوعية بمنبر السياسة العالمية[9]، الذي كان يمضيه تحت اسم "محمد"، ثم مقاله الأسبوعي عن العلم والاختراع ويمضيه بـ: أتم[10]، إضافة إلى نشاطاته في تأسيس المدارس خاصة إنجاز معهد ابن باديس في قسنطينة[11] إلى أن توقف نشاطه سنة 1956م بانضمامه لجبهة التحرير.[12]

---

[1] – عمار بوحوش، المرجع السابق، ص 249.

[2] – أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، م ج 4، دار الغرب الإسلامي للنشر، بيروت، 2005م، ط 2، ص ص 118– 120.

[3] – ** الذي ردّ فيه على "فرحات عباس" أثناء تنكره للوطنية الجزائرية وأحدث آنذاك ثورة عارمة ، و حول صاحب هذا المقال يتدخل شارل أندري جوليان في كتابه إفريقيا الشمالية تسير حيث يقول بأنّ هذا المقال لابن باديس**. ينظر: محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، المرجع السابق، ص 277. *

[4] – مولود عويمر، التواصل الفكري بين النخبة الإصلاحية في المغرب الكبير، دار الهدى للنشر، عين مليلة، الجزائر، 2016م، ص 155.

[5] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص 418.

[6] – جريدة الإصلاح، ع 47، 01 ماي 1947م، ص 4–5.

[7] – جريدة الإصلاح، ع 47، 01 ماي 1947م، ص 06.

[8] – أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 418– 419، وينظر أيضا: البصائر، جمعية العلماء المسلمين، ع 174، 1951م، ص 04.

[9] – البصائر، جمعية العلماء المسلمين، ع 174، 15 أكتوبر 1951م، ص 04.

[10] – محمد الصالح الصديق، شخصيات فكرية وأدبية، المرجع السابق، ص 156.

[11] – محمد محفوظ، المرجع السابق، ص 283.

[12] – أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص ص 280– 285.

3-3- جبهة الدفاع عن الحرية واحترامها 1950م:

كان لجمعية العلماء المسلمين اليد الفضلى في تحقيق التقارب السياسي بين أحزاب الحركة الوطنية وتجسدت في تشكيل الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها[1]، بحيث كانت هاته الهيئة تحتوي ممثلين عن الأحزاب السياسية، وأشارت إليـها جريدة المنار على النحو التالي: "جمعية العلماء المسلمين": العربي التبسي، محمد خير الدين، أحمد بوشمال، "حركة الانتصار للحريات الديمقراطية": مزغنة، المحبوب، كيوان، "الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري": بومنجل، الصاطور، "الحزب الشيوعي الجزائري": محمودي، بن خلاف، كوش، "الشخصيات المتنقلة": أحمد توفيق المدني، رولا الأبلق[2]، ويشير المنصور أنه كان بمثابة أمينها العام نيابة عن "العربي التبسي"، وتمثلت أهداف الجبهة في: إلغاء الانتخابات التشريعية احترام الحريات الأساسية "حرية الضمير، الصحافة والإبداع، تحرير المعتقلين السياسيين..."[3] وألقى كل من "توفيق المدني*" و"العربي التبسي" و"كباليرو" خطابات أثناء الاجتماع الرسمي للهيئة في ملعب حسين داي[4]، وبسبب مشاركة الحزب الشيوعي في الانتخابات الفرنسية تقطّعت الصلات بين الهيئات السياسية المكوّنة للجبهة[5] وبذلك انتهى دورها.

2- المرحلة الثانية: الثورة الجزائرية 1954م-1960م

مع اندلاع الثورة في الفاتح من نوفمبر 1954م، شهدت الساحة السياسية في الجزائر العديد من المواقف للهيئات السياسية على رأسها جمعية العلماء المسلمين، حيث صرح أمينها العام أحمد توفيق المدني في مذكرات حياة كفاح أنّه كان على علم مسبق* بأنّها ستكون في خريف 1954م من رفيقه المناضل عمر دردور في باتنة[6]، كما أورد كاستجابة منه لنداء الثورة من خلال عقده لاجتماع المجلس الإداري للجمعية في غياب نائب الرئيس العربي التبسي وبرئاسة محمد خير الدين تمت فيه مناقشة

---

[1] - أبو بكر الصديق حميدي، محمد علي مساعد، مظاهر الفكر الوحدوي في برنامج الحركة الإصلاحية للجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية، مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية، ع 4، ديسمبر 2017م، www.herodote.com.

[2] - جريدة المنار، السنة الأولى، ع 7، 1951م، ص 3- 4.

[3] - أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص 556- 558.

* - ** تم إبعاد المدني نهائيا من تونس دون رجعة وذلك سنة 1952م**. ينظر: الملحق رقم 02.

[4] - جريدة المنار، السنة الأولى، ع 6، 1951م ص 1-2 ، ينظر أيضا: البصائر، جمعية العلماء المسلمين، ع 166، 01 أوت 1951م، ص 01.

[5] - أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص 557- 560.

* - **لا يتوافق معاصري أحمد توفيق المدني حول علمه مسبقا بإندلاع الثورة، فلقد ذكر عبد الرحمان بن إبراهيم العقون أنّه أثناء لقاء قام به مع خير الدين محمد أنّه لا أحد من جمعية علماء المسلمين كان له العلم بانطلاقة الثورة، كما أنّه ليس هو الداعي إلى اجتماع المجلس الإداري للجمعية**، ينظر: عبد الرحمن بن إبراهيم العقون، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر، ج9، منشورات السائحي، الجزائر، 2010م، ط3، ص545.

[6] - عمار بوحوش، المرجع السابق، ص275.

القضايا تخص الجمعية إضافة إلى موقفها من الثورة، وتم فيها الاتفاق على تأييد الثورة ، وسارع شخصيا إلى مراسلة الإبراهيمي[1] المتواجد في القاهرة يعلمه فيها بالثورة وأهدافها[2]، ليستجيب له الإبراهيمي بمشاركة الفضيل الورتلاني بإصدار بيان للشعب الجزائري يحثّ فيه للمشاركة في الجهاد من أجل تحرير البلاد[3].

وعليها باشر المدني بإفراد مقالات في جريدة البصائر مساندة للثورة التحريرية[4]، وفي نفس الوقت كان يوجه خطاباته في سبيل القضية التونسية لتعلقه الشديد بتونس ولوفائه بوعوده للشعب التونسي على خدمة قضيتهم حتى بعد نفيه، فحاول من خلالها تعزيز الوحدة القومية لإزالة الحماية وتحقيق الحرية والاستقلال بالإضافة إلى تصدره ليوم التضامن في 02 جانفي 1952م دعمّا للقضية التونسية بمناسبة عرضها في مجلس الأمن الدولي، بالإضافة إلى قضية المغرب الأقصى التي ساندها منذ تواجده في تونس بعدما نشر لها مقال يشيد فيه ثورة الريف والمجاهد عبد الكريم الخطابي، كما لا ننسى دعمه الكبير للقضية الفلسطينية من خلال إنشائه لهيئة تنفيذية مركزية في جمعية العلماء قدم من خلالها العديد من النشاطات والدعم المالي لفلسطين[5]، وكل هذا دلالة على شخصيته الوفية للمغرب العربي بصفة خاصة والوطن العربي بصفة عامة.

وبالعودة للتحدث عن الثورة التحريرية، أصبحت مقالاته توعوية وتحريضية في نفس الوقت ضد المستعمرين في البصائر التي تغير مسارها من جريدة تنشر أحداث الثورة حسب ما ينص عليه البيان الحكومي قبل سنة 1955م إلى جريدة سياسية ثورية جارحة للمستعمر بعد سنة 1955م[6]، ومع نشرها لبيان رسمي مؤيد للثورة التحريرية[7]، اتخذت الإدارة الاستعمارية قراراً بغلقها سنة 1956م.

---

[1] – ** الرسالة التي تثبت بأن المدني أرسل للبشير الإبراهيمي برقية للقاهرة سنة 1954م، لقيها أبو القاسم سعد الله في طي كتاب بقايا مكتبة الفضيل الورتلاني**، ينظر: أبو القاسم سعد اللّه، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، م.ج2، دار الغرب الإسلامي للنشر، الجزائر، 1986م، ط1، بيروت، 1990م، ط2، بيروت، 2005م، ط3، ص ص 63 إلى 86، وأيضا ينظر: إلى الملحق رقم 03.

[2] – عبد العزيز موهوبي، رجال الإصلاح والطرق الصوفية في الجزائر (1931م–1954م)، الشاوش حباسي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تاريخ حديث ومعاصر، جامعة الجزائر 02، الجزائر، 2012م، ماجيستار، ص214.

[3] – ** أثار عدة مؤرخين قضية تأييد جمعية العلماء للثورة التحريرية، واتخذوا مقالها الذي نشر في العدد01 من البصائر في 05 نوفمبر 1954م تحت عنوان الليلة المزعجة أو الليلة الليلاء، فاعتبرها البعض عدم تأييد للثورة رغم البيانات الصادرة من رئيس الجمعية**، ينظر: عبد العزيز موهوبي، نفسه، ص213.

[4] – أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص418.

[5] – سمية تينة، المرجع السابق، ص ص 91 إلى 93.

[6] – عبد القادر خليفي، التاريخ في اهتمامات نخب الحركة الوطنية الجزائرية "قراءة في مضامين كتاب الجزائر لأحمد توفيق المدني"، مجلة البحوث التاريخية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر، م.ج2، ع5، سبتمبر 2018م، ص13.

[7] – تركي رابح عمامرة، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية (1931–1956م)، د.ج، د.د.ن، الجزائر، 2004م، ط1، ص ص 58–59.

ليتوسع بذلك النشاط المدني النضالي[1] أثناء اتصال أجراه مع عبان رمضان الذي أوكل له وجنده بالوفد الخارجي لجبهة التحرير الوطني بالقاهرة سنة 1956م[2]، وهكذا أصبح مترجمنا من الأعضاء الدائمين في المجلس الوطني للثورة[3]، وعليه استهل نشاطه في القاهرة من خلال الخطب التي أحياها في كل من الجامع الأزهر وجماعة الكفاح والشبان المسلمين، كما تفاوض مع الأمين دباغين بالتونسيين "الصادق المقدم والمنجي سليم" حول مرور السلاح الجزائري من البلاد التونسية، بالإضافة إلى المؤتمرات الصحفية التي أقامها وخطاباته المفعمة بالنشاط عن المجاهدين في إذاعة صوت العرب[4]، وقام بجولات كثيرة في البلدان العربية* والغير العربية من أجل الدعاية للثورة ضمن الوفد في مهمة سياسية عسكرية تتضمن الرغبة في العون المادي وبشكل خاص للمساعدة على شراء السلاح[5]، أولهما رحلته إلى تونس، وسبع رحلات إلى ليبيا لفض النزاعات وحل المشاكل العالقة والمرتبطة بالسلاح الجزائري المار على الحدود، وحل مشاكل الطلبة وهكذا بدأت معظم الأقطار العربية تستقبل توفيق المدني ذا مهام سياسية خاصة، مشاركا في الندوات، وداعياً لدعم الثورة الجزائرية مالياً وسياسياً، أمّا رحلاته إلى البلدان الإسلامية الغير العربية التي شملت كل من كراتشي، باكستان وإندونيسيا[6]، وسنغافورة وماليزيا[7]، فلقيت هي الأخرى تجاوباً مع القضية الجزائرية بالإضافة إلى كل من الصين الشعبية التي التقى أثناء حفلها بكل من الشخصيات البارزة "موتسي تونغ وأنور خوجة –رئيس ألبانيا– وخروتشوف، وكذلك موسكو التي كانت له فيها مهمة سياسية لطلب الدعم من الاتحاد السوفياتي للثورة[8].

ونظرا لنشاطاته الكثيرة للثورة التحريرية ولوفائه لجبهة التحرير الوطني اختير بعدها عضوا بمجلسها الوطني المنبثق بعد مؤتمر الصومام وعند تأسيس الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية سنة

---

[1] – بشير سعيدوني، الثورة الجزائرية في الخطاب العربي الرسمي، ج1، دار مداني للنشر، قرواو، 2013م، د.ط، ص407.

[2] - ahmed cheniki, la présence de tewfik el madani,(وثائق سلمتها لنا عائلة المدني).

[3] – عبد العزيز بوتفليقة، النصوص الأساسية لثورة نوفمبر 1954م، وزارة المجاهدين، د.س، ط.خ، ص39.

[4] – أحمد توفيق المدني ، مذكرات حياة الكفاح، ج3، مج3، عالم المعرفة للنشر، الجزائر، 2010م، ط.خ، ص ص222 إلى 285، ينظر: الملحق رقم 04.

* – **رحلات المدني في الدول العربية** ينظر: الملحق رقم 05.

[5] – عمر بن قينة، اتجاهات الراحلين الجزائريين في الرحلة العربية الحديثة، د.ج، ديوان المطبوعات الجزائرية للنشر، د.ب، 1995م، د.ط، ص ص 197 إلى 198.

[6] – ينظر : الملحق رقم 06.

[7] – ينظر : الملحق رقم 06.

[8] – هادية صيود، أحمد توفيق المدني الوسيط النضالي بين تونس والجزائر من خلال مؤلفه حياة الكفاح، عصور الجديدة، دج، دب، م ج8، ع1، 2018م، ص151.

1957م في مصر[1]، تقلّد فيها مترجمنا منصب وزير الثقافة ما بين سنتي 1958م-1960م[2] كما قام المدني نفسه بتعريب بيان الحكومة المؤقتة يوم 19 سبتمبر 1958م ووزعه على الصحفيين العرب والسفارات العربية والسلطات المصرية ، وبصفته كوزير للثقافة تولى شخصيا الارتحال إلى تونس لمناسبة اعتداء الطائرات الفرنسية على قرية سيدي يوسف التونسية بالحدود الجزائرية، وفي 20 سبتمبر 1958م طالب توفيق المدني بوقف إضراب الطلبة عن الدروس في جامعة الجزائر لأن الجبهة أمرت بالالتحاق بجيش التحرير في أول اجتماع للحكومة المؤقتة، وبعد المناقشة وافقت الحكومة على دعوة طلبة الجزائر، واعتبر سعد الله ذلك من أهم قرارات الحكومة المؤقتة بشأن مظهر من مظاهر الثقافة وهو التعليم[3]، و بعد مؤتمر تريبوليس في جانفي 1960م تم تعيينه رسمياً رئيساً للبعثة الدبلوماسية في الجمهورية العربية المتحدة ومندوباً دائماً في جامعة الدول العربية[4].

3- المرحلة الثالثة: بعد الاستقلال (1962م-1972م)

واصل أحمد توفيق المدني نشاطه الدؤوب في مرحلة الاستقلال[5] برئاسة أحمد بن بلة[6] حيث أسندت له وزارة الشؤون الدينية والأوقاف التي اجتهد فيها كثيرا على إضفاء تعديلات على الهيكلة الإدارية، وأعطاها صبغة تنظيمية، كانت نموذجاً في التسيير الإداري لباقي الوزارات فيما يتعلق بالانضباط والنظام[7]، وتمكن من افتتاح 17 معهداً للتعليم الأصلي[8]، وكما تم إصلاح المساجد خاصة جامع كتشاوة[9]، حيث ذكر "حفيده" في هذا الشأن أن الوزارة في عهده –أي توفيق المدني- كانت في أوّج قوتها وتقوم بدورها الديني والثقافي ، وتمثلت نشاطاته فيها في الخطب والمحاضرات الغنية التي كانت

---

[1]- محمد لحسن أزغيدي، مؤتمر الصومام وتطور ثورة التحرير الوطني الجزائرية (1956-1962م)، دار هومة للنشر، 2009م، د.ط، ص190، وللتعمق أكثر ينظر: محمد العربي الزبيري، كتاب مرجعي عن الثورة التحريرية 1954م-1962م، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م ، د.ب، د.س، ط.خ، ص ص 100 إلى 108.

[2]- عبد القادر خليفي، التاريخ في اهتمامات نخب الحركة الوطنية، المرجع السابق، ص13.

[3]- أبو القاسم سعد اللّه، المرجع السابق، ص93.

[4] - Mohamed Islam el madani, présentation de cette collection d'ouvrages de Mohamed el madani, p4 , (ينظر: وثائق سلمتها لنا عائلة المدني).

[5]- عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص13.

[6] - Jennifer jhonson, The battle for algeria, university of pennsylvania press, philadelphia, pennsylvania, 2016, p15.

[7]- عبد القادر خليفي، أحمد توفيق المدني، النضال السياسي والإسهام الفكري في الساحتين الجزائرية والتونسية (1899م-1983م)، د.ج، دار المخابر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م، ص ص 366 الى 367.

[8]- عبد القادر خليفي، التاريخ في اهتمامات نخب الحركة الوطنية، المرجع السابق، ص13.

[9]- ناجية خرقاق، إسهامات أحمد توفيق المدني بعد الاستقلال 1962-1983م، جامعة محمد خيضر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تاريخ معاصر، بسكرة، 2018م، ص87.

بحضور أبرز العلماء والفقهاء الجزائريين منهم ومن مختلف أنحاء الوطن العربي[1]، التي قامت بدور لا يستهان به في مواجهة الموجة التغريبية التي تزعمها التيار الفرانكفوني[2]، وفي ماي 1967م عينّه الرئيس جمال عبد الناصر كعضو بمجمّع اللّغة العربية بالقاهرة خلفاً للمرحوم البشير الابراهيمي ، كما كان يكتب في مجلة مجمّع اللّغة العربية[3]، إضافة لإنتسابه للسلك الدبلوماسي[4]، حيث عيّن سفيراً في كل من العراق وإيران وتركيا[5]، فوق العادة وعلى حسب ما ذكره لنا "حفيده" أن ذلك دلالة على مكانته المرموقة والثقة الممنوحة له، ولحنكته الدبلوماسية التي اكتسبها مع الدول العربية أثناء الثورة التحريرية[6]، فلعلاقاته الممتازة خاصة أثناء تواجده بتركيا استطاع جلب أكثر من 3000 وثيقة تاريخية خاصة بالعهد العثماني وضعت للاستغلال تحت تصرف الباحثين والأكاديميين بالمركز الوطني للدراسات التاريخية، حيث أسندت للرجل مهمة استشارية هناك في العقد الأخير من حياته[7].

المطلب الثالث: وفاته

نظرا للأزمات القلبية التي كان "أحمد توفيق المدني" يتعرّض لها في العقد الأخير من عمره بعد الحملة الانتقادية العنيفة التي تعرّض لها من قِبل تلامذة جمعية العلماء المسلمين وغيرهم من المفكّرين، شاء القدر أن تنتقل روح الفقيد "أحمد توفيق المدني" إلى جوار ربها –رحمه الله– فجأة وذلك صباح يوم الثلاثاء الموافق لـ 18 أكتوبر 1983م، بمسكنه العائلي بالأبيار –الجزائر العاصمة–.

كما لم تُشيَّع جنازته يوم وفاته بل وتمّ تأخيرها إلى اليوم الموالي انتظارا لوصول الوفود ومن بينها عائلة "المدني" المقيمة بتونس، وشخصيات وطنية تاريخية وفي أجهزة الحزب والدولة.

وعلى إثر وفاته نشر الكثير من الباحثين والمفكّرين والصحف وغيرهم كلمات تأبينية في حقه نذكر أهمها:

تطرّقت الدكتورة "أنيسة بركات" في كلمة تأبينية قائلة: "يشرّفني أن أساهم مع الباحثين بهذه الكلمة نرفعها بقلوب خاشعة ترحّما على أبينا الرّوحي وأستاذنا المبجّل الشيخ توفيق المدني... إنه أحد أبناء

---

[1]– أمين الشريف الزّهار، مقابلة شخصية.

[2]– عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص13.

[3]– وعمل المدني في مجمع اللغة العربية على تقوية مكان اللّغة العربية ونشرها على أوسع نطاق من خلال إثراءه للمعاجم، ينظر: ناجية خرقاق، المرجع السابق، ص ص 90 إلى 91.

[4]– عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص13.

[5]– أحمد العلاونة، ذيل الأعلام، ج1، م ج1، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة، السعودية، 1998م، ط1، ص23.

[6]– أمين الشريف الزّهار، مقابلة شخصية.

[7]– عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص13.

الجزائر البررة الذين كرّسوا حياتهم من أجل عزّة وكرامة وطنهم، وشخصية فذّة جديرة بالاحترام والتقدير، كلامه حكمة وعلمه جهاد، اكتسب جهده وكفاحه ... علما واسعا وثقافة رفيعة ... ويعدّ من البحاثة البارزين الذين قامت على أكتافهم النهضة التاريخية في بلادنا خلال فترة خطيرة..."

ويشير "بشير مديني" إلى أنه حقا عملاق كما وصفه "أبو القاسم سعد الله" "عملاق بمواقفه عملاق بدوره، عملاق خاصة بإنتاجه وكتاباته التي كانت بحق المدرسة الوطنية التاريخية" ويضيف قائلا: "إنها فعلا حياة كفاح نذرها لوطنه علما وفكرا... وحينما تقدّمت به السّن لم يكل ولم يمل بل استقرّ بمركز الدّراسات التاريخية مدة تسع سنوات إلى أن وافته المنية، فما أحوجنا في زمن الرّداءة هذا إلى ممثّل هؤلاء الرجال".[1]

كما ألقى شقيقه المرحوم الشاعر "الهادي الحسني" قصيدة رثى بها المرحوم وقد نقش على قبره:

قف ففي القبر أحمد المدني *** هو توفيق شريف الرضي *** هو المغرب الكبير والإسلام

... ذلك المناضل العربي *** ربّنا اجعل مثواه جنّة عدن *** أين في الخلد جدّه الهاشمي[2]

[1] – اتّحاد المؤرّخين الجزائريين، المدرسة التاريخية الجزائرية، ط 1، وسام نبراس للإعلام والنشر والإشهار، الجزائر، 1998م ص ص 141- 144- 149.

[2] – عبد القادر خليفي، أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر 1899م-1983م، عبد الكريم بوصفصاف، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، قسم التاريخ والآثار، تخصص التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة منتوري قسنطينة، قسنطينة، 2007م، ص 253.

الفصل الثاني:

أحمد توفيق المدني والتاريخ

تمهيد:

أما في هذا الفصل فسنبين كيف تناول أحمد توفيق المدني لمفهوم التاريخ وكذا بعض أهم الكتب التاريخية والأدبية التي ألّفها والمنهج الذي اعتمد عليه في كتاباته.

وهنا سنتطرق إلى مفهوم التاريخ في وجهة نظر أحمد توفيق المدني، فالتاريخ عنده حظي بمكانة هامة منذ انضمامه لجامع الزيتونة وأصبح من المولعين به، وانطلاقاً من ذلك أراد الكتابة فيه.

كما سنعرج على ذكر أسلوبه في الكتابة والطريقة التي اتبعها في طرحه للمعلومات ونقدها في نفس الوقت، ومنها سنقوم بذكر إسهاماته في كتابة تاريخ الجزائر وذلك للتعريف بمدى أهمية تلك الإسهامات في إثراء تاريخ الجزائر وإذكاء وعي الشعب الجزائري في نفس الوقت.

المبحث الأول: تعامل أحمد توفيق المدني في التاريخ

المطلب الأول: مفهوم التاريخ عند أحمد توفيق المدني:

كان لشخصية أحمد توفيق المدني شأنها شأن العديد من المؤرخين الذين أعطوا للتاريخ بصمة خاصة بهم كما لا ننسى أننا ذكرنا في السابق أنه كان من بين المولعين به –أي التاريخ– منذ تواجده بتونس ومزاولته للدراسة بجامع الزيتونة على يد الأستاذ "حسن حسني عبد الوهاب" ولمختلف الكتب والروايات التاريخية أمثال "ابن خلدون، ميشال زيفاكو، شكسبير...الخ"، وعليه تكونت لمترجمنا نظرة خاصة وشاملة انطلق منها لتحديد مفهومه للتاريخ وهذا ما جاء في قوله: "... وما التاريخ في نظري إلا عرض وتحليل وتعليل وحكم..."[1]، ويشير الأستاذ مولود عويمر "أن توفيق المدني يرفض أن يكون التاريخ مجرد سرد للوقائع وحدها دون تأمل وتمحيص وتحليل الآراء والنظر في بداياتها ومساراتها وتقييم تأثيراتها والحكم على مآلاتها"[2]، وهذا ما يتوافق كل التوافق مع تعريف ابن خلدون للتاريخ.

كما يرى أنّه علم حديث وعبارة عن تجسيم للعصور الماضية حتى يصبح كأنّه الحاضر وتصوير الصورة الحقيقية للحياة القديمة مع توضيح عوامل نهضتها وانحطاطها وربط الحوادث بأسبابها ونتائجها وتأثير تلك الأحداث على البيئة وعلى الأخلاق ثم إصدار حكم عام على كل عصر من العصور، وما كان له من تأثير على الحالة العامة للبلاد[3].

فمحمد غالم يحيل هذا التعريف إلى النظرة الوضعانية التي تميزت بها الأسطوغرافيا الغربية خلال القرن 19م، فعلى الرغم من الموضوعية التي تدّعيها الدراسات التاريخية الغربية إلاّ أنه من المستحيل على المؤرخ إحياء الأحداث بالماضية، وأنّ كل ما يمكنه القيام به هو إعادة تشكيلها على نحو يساعد على فهمها وتفسيرها[4]، في حين يرى أبو القاسم سعد الله أن هذا التغيير طرأ على مفهوم التاريخ مع نهاية الحرب العالمية الأولى، وظهور الحركة الإصلاحية والحركة الوطنية من جهة أخرى، وتمثل ذلك في جهود كل من ابن باديس والأمير خالد الذين أضفوا مفهوماً جديداً للتاريخ[5].

---

[1]– أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492م–1792م، دج، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م، ط3، ص8.

[2]– مولود عومير، مسألة التاريخ عند الأستاذ أحمد توفيق المدني، البصائر، ع982، 21–27 أكتوبر 2019م، ص8.

[3]– أحمد توفيق المدني، حرب ثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا، المصدر السابق، ص8.

[4]– محمد غالم، "براديقما المقاومة في الخطاب التاريخي الإصلاحي أحمد توفيق المدني نموذجاً"، عصور جديدة، ع3–4، د.ب، 2012م، ص191.

[5]– أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص14.

وهكذا فإنّ ما ذكره محمد غالم في السابق على استحالة إحياء المؤرخ للحادثة التاريخية الماضية كما وقعت بنسبة كلية هو صحيح، لكن لا ننكر بأنّه يستطيع الوصول بنسبة قريبة نوعا ما للحقيقة التاريخية من خلال بحثه عن تفسيرات وعن تعريف للأسباب والنتائج ودراستها من مختلف الجوانب لتحقيق الرؤية الكلية للحادثة[1].

وبالتحدث عن أن مؤرخي القرن 20م تأثروا بالكتابة الغربية إلا أن ذلك لا يسقط أن النهضة الإصلاحية لعبد الحميد ابن باديس والأمير خالد ساهمت هي الأخرى في ميلاد مفهوم جديد عند أحمد توفيق المدني، ولإثبات ذلك بسببين رئيسيين تمثل السبب الأول في البيئة المحافظة والحاقدة على الاستعمار الفرنسي أي الغربي بصفة عامة ما جعل شخصيته العربية الثائرة لا تذوب في الثقافة الغربية، والسبب الثاني أن كون تاريخ أحمد توفيق المدني هو نتاج تونس وعدم تأثره بالغرب يرجع للدور الذي لعبه جامع الزيتونة والمدرسة الخلدونية في تحصينه ضد فعالية الاستعمار الفرنسي بخلاف الجزائر التي لم تكن تتمتع بمؤسسات تعليمية دينية عريقة[2].

المطلب الثاني: أسلوبه في الكتابة والنقد التاريخي

كان المؤرخ أحمد توفيق المدني يكتب بأسلوب أدبي جميل وشيق[3]، يزاوج بين العاطفة الجياشة والعقل المجرد وقد أورد مولود عويمر لذلك أنموذجاً: "هذه البلاد التي يسجل التاريخ فوق جمالها بين شعبها وكتاباتها، صفحة أروع صفحات البطولة والمجد..." [4].

والى جانب ذلك يذكر محمد قنانش أن أسلوبه كان ثورياً[5]، في حين يشير عمر بن قينة إلى أن أسلوبه اكتسى عليه طابع وطني سياسي[6]، نظرا للممارسة السياسية والصحفية النضالية التي جعلت من تحليله للأحداث ذو أسلوب ثوري راجع للوسط الذي عايشه أحمد توفيق في تونس.

وترى سميرة أنساعد أن أسلوبه الأدبي برز خاصة في تصويره لرحلاته[7] والساحل الجزائري وهو ما جاء في كتابه جغرافية القطر الجزائري: "ساحل القطر الجزائري رائع العين، بديع الجمال، رائق المنظر....بحر

---

[1]– فارس كعوان، المؤرخون الجزائريون ونمو الوعي التاريخي 1839م–1996م مساهمته في التاريخ الثقافي والفكري، قسم التاريخ والآثار، تاريخ معاصر، جامعة منتوري قسنطينة، 2007م، دكتوراه، ص117.

[2]– سميرة أنساعد، المرجع السابق، ص248.

[3]– أمين الشريف الزهار، مقابلة شخصية.

[4]– مولود عويمر، مسألة التاريخ عند الأستاذ أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص08.

[5]– محمد قنانش، ذكرياتي مع مشاهير الكفاح، د.ج، دار القصبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2005م، د.ط، ص141.

[6]– عمر بن قينة، المرجع السابق، ص100.

[7]– محمد قنانش، المرجع السابق، ص141.

أزرق زهو، وسماء صافية، وجبال ذات ألوان..." [1]، كما كان لأسلوبه بعض الوقفات الوصفية والسردية التاريخية التي فرضتها الأحداث خصوصا التي عايشها خلال اقامته بمصر وحثّ فيه ....بما يخالجه من مشاعر صادقة يكنّها للشعب المصري وذلك ما جاء في قوله: "... دماء غزيرة وأرواح عزيزة يشع نورها أبدا وتضيء طريق المستقبل الزاهر في وجه الشعب الناهض الأبيّ..."

وهكذا نجد أن أسلوب توفيق المدني في الكتابة اتصف بسرعة السرد[2] والاختصار المفيد والفصاحة[3]، ويلمح عن تأملاته الفكرية تلك الروح النقية والتحليلية التفسيرية التي تظهر في تعامله مع مختلف الحوادث التاريخية التي شهدتها الجزائر على مرّ العصور[4] وكل ذلك دلالة على أنّه ذو علم واسع وفكرة اجتماعية ناضجة وثقافة سياسية عظيمة[5].

تعدّ الوثائق العمود الفقري للكتابة التاريخية[6]، ولقد أجمع الأكاديميون والباحثون على استحالة قراءة التاريخ بطريقة موضوعية دون الاعتماد والرجوع الى الوثائق[7]، إذ لا تاريخ دون وثائق[8].

فعبد القادر خليفي يشير إلى أن "أحمد توفيق المدني استند في استقاء الحقائق من خلال توظيفه للوثيقة وهو ما جاء في قول مترجمنا:"...يدرس الوثائق والمستندات ويستخرج الحقائق من بين النصوص، ثم ينظر الملابسات ويدرس المحيط..." [9]، ويضيف أبو القاسم سعد الله أنّه اعتمد أيضاً على نصوص فرنسية ككتاب "موريس فيوليت" "هل ستعيش الجزائر"[10]، بينما يرمي الأستاذ مولود عويمر بأن قناعة أحمد توفيق المدني في كتابة تاريخ الجزائر في العهد العثماني بطريقة علمية دقيقة وشاملة مرهونة بأرشيف تركيا وذلك في قوله – المدني– : "لا يمكن لباحث يتوخى الصدق ويبحث عن الحقيقة في مصادرها إن ما لم يطلع على الوثائق الثرية التي حوتها مختلف ديار المحفوظات بإسطنبول"[11].

---

[1]– أحمد توفيق المدني، جغرافية القطر الجزائري ، دار البصائر للنشر ، الجزائر، 2009م، ص 8.

[2]– سميرة أنساعد، المرجع السابق، ص96.

[3]– مولود عويمر، المرجع السابق، ص08.

[4]– سميرة أنساعد، المرجع السابق، ص96.

[5]– محمد بن عمرو الطمار، تاريخ الادب الجزائري، د.ج، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.س، د.ط، ص375.

[6]– مولود عويمر، المرجع السابق، ص08.

[7]– www.kuna.net.kw

[8]– www.sotor.com

[9]– عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص07.

[10]– أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص422.

[11]– مولود عويمر، المرجع السابق، ص08.

فحصول مترجمنا على الوثائق العثمانية وغيرها كانت بمثابة انطلاقة له وعليها استند في تحليل وتعليل الظروف المحيطة والملابسات، وتلك هي حقيقة المؤرخ الأحق وما يثبت ذلك هو ما جاء في قول الدكتور فيصل عبد الله الكندري: "أنّه لابد لدارس الوثائق أن يلم بالظروف والوثائق التاريخية التي ساهمت في إيجاد الوثيقة وهي معرفة جميع الاحداث وترتيبها والملابسات التي ساهمت في كتابة وثيقة معينة"[1].

لابد لكل فكرة تاريخية أن تبدأ من الوثيقة لأنها بدورها تعدّ الأثر المادي الوحيد والمباشر المعبر عن تطور حضارة الانسان ولذلك يجب على المؤرخ قراءة مضمونها بكل دقة ثم تحليلها وفق القواعد العلمية بكل صرامة بمعنى ممارسة النقد للوصول إلى الحقيقة التاريخية[2].

وأحمد توفيق المدني استعان في نقده للدراسات السابقة على الخرائط والجداول والصور لغرض دعم آراءه ولتوضيح سرده أكثر، وقد أورد الدكتور مولود عويمر أنّه انتقد بشدة المؤرخين العرب خصوصا الذين أهملوا تاريخ الجزائر القديم الذي سبق الفتح الإسلامي وتركوه للمؤرخين والباحثين الغربيين الذين اهتموا بدراسته لتتحول بذلك كمصدر أول بالرغم عمّا تحمله من تأويلات خاطئة[3].

لذلك ذهب كل من الدكتور عبد الكريم بوصفصاف ومولود عويمر لاستظهار أن المدني اعتمد في معالجة الوقائع التاريخية وتفسيرها واستنباط النتائج بتدخل العامل الديني كمصدر أساسي في تفعيل حركة التاريخ والذي جاء في قوله: "العامل الإسلامي أعتبره عاملا أساسيا ذا أثر فعّال... في تاريخنا الجزائري، وأعتقد من تغافل عن ذلك العامل... قد أنكر أهم مكونات الشخصية وتعمّد خيانة التاريخ"[4] في حين يرى عبد القادر خليفي أنّ هذا العامل كان من بين المآخذ التي جعلته خاصة ضعيف تعليل الأحداث وتحليلها لأنّه كان يحاول أن يصب كل شيء يعزى الى التاريخ في مصب الإسلام[5].

كما كان هناك اختلاف في تفسير كل التحولات في الجزائر بعامل الاستعمار، في حين نجد أن التخلف الاقتصادي والجمود الاجتماعي والثقافي الذي عرفه العالم الإسلامي منذ القرن 14م، هي التي أوجدت الأوضاع التي ترتب عنها الاحتلال الأجنبي والسيطرة الاستعمارية، لذلك اعتبر الدكتور "ناصر الدين سعيدوني" أن هذا العامل يعدّ موقفا محددا لقضايا التاريخ فبدونه تصبح الدولة الجزائرية قبل الاحتلال عبارة عن إدارة أجنبية وكما تشهد وقائع التاريخ بأنّ المحرك الأساسي لتاريخ الجزائر منذ القرن

---

[1] -www.kuna.net.kw

[2]– عارف أحمد اسماعيل المظلفي، المستخلص في التقد التاريخي، د.ج، دار النشر للجامعات، صنعاء، 2014م، ط1، ص24.

[3]– مولود عويمر، المرجع السابق، ص08.

[4]– عبد الكريم بوصفصاف، تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، ج2، دار الحمدي للنشر، عين مليلة، الجزائر، 2013م، د.ط، ص250، وأيضا: مولود عويمر، المرجع السابق، ص08.

[5]– عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص15.

15م تمثل في العقيدة الإسلامية لأن عدم التركيز على العوامل الداخلية عند تفسير الأحداث وعدم إرجاع العوامل الخارجية لنتاج التطورات الداخلية ستصبح وقتها الأحداث مقلوبة ومتناقضة وسيصبح موقفنا أيضا لا يعكس نظرة الجزائريين للحياة وموقفنا من الاستعمار[1].

كما يشير الدكتور محمد غالم: "بأن مترجمنا اكتفى فقط بالمعارف التاريخية الصادرة عن الباحثين الغربيين وهو غير كافي بل كان عليه أن يكشف خلفياتها الاستعمارية ثم يعيد بناءها وفق أطره النظرية وخلفياته القومية"[2]، ولا ننسى بأن رجوعه للكتابات الغربية يعود أولا إلى اعتبارها كمصدر أولي لأنها كانت من الأوائل التي اهتمت بالكتابة عن تاريخ الجزائر في تلك الفترة، وثانيا باعتباره يتقن اللّغة الفرنسية ما ساعده ليتحرى ويحلّل الأحداث ومنها تمكن مترجمنا الردّ على أغلب المزاعم الاستعمارية التي سعت الى فرض تصور خاطئ عن الجزائر وللحفاظ في نفس الوقت على الشخصية الجزائرية ومقوماتها التاريخية.

وعليه فإنّ انتهاج المدني لمنهجها لم يمنعه من معارضة أحكامها ودحض مراميها الإيديولوجية، كما لم يؤثر ذلك على شخصيته الجزائرية ولم يخضع لها ما يبرز فطانته ووطنيته العالية، فبذكاء منه نجده يفنّد نظرياتهم معتمدا عليهم بأنفسهم، ونذكر لذلك مثال اعتمده مترجمنا يبرز إعتراف بعض الكتابات الغربية الموضوعية على الوجود الروماني في الجزائر : "بأنّه استعمار لم يجن منه البربر أية فائدة مادية أو أدبية، إذ حافظوا على لغاتهم وعوائدهم وفضائلهم القومية عدا قلة قليلة وعاشوا على هامشه ولم يندمجوا فيه إطلاقا"[3].

ويؤكد محمد غالم إلى أنّه بالرغم مما تحتويه الكتابات الغربية إلا أنّه يجب التعامل معها بروح نقدية وبدون تشنج وإقصاء لأن الهدف الصحيح هو تجاوزها علميا قصد الرقيّ بالبحث التاريخي إلى مستوى رصين يفرض نفسه على الساحة العلمية[4]، لأننا نجد أغلب المؤرخين الغربيين يتعاملون في كتاباتهم مع الحادثة التاريخية في نقدها وتحليلها دائما بتدخل العامل الديني الصليبي الحاقد على الإسلام، ولكن السؤال الذي يتبادر في الأذهان لماذا لا يتخلى المسيحي عن نصرانيته؟ لماذا يطلب ذلك فقط على المسلم؟

لذلك فإن أحمد توفيق المدني الثائر الغيور على وطنه ولغته ودينه وكأي مؤرخ جزائري سعى لإنقاذ هوية الشعب الجزائري وتاريخه الذي كان يلقى حربا هوجاء من قبل المؤرخين الاستعماريين، وعليه لا يمكن لأي مؤرخ أن يتحرر من الخلفية الدينية ومن العاطفة لأنّها تعتبر إحدى المنطلقات الفكرية

[1]– ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الفترة الحديثة والمعاصرة، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988م، د.ط، ص ص 14-15-21.

[2]– محمد غالم، المرجع السابق، ص192.

[3]– محمد غالم، المرجع السابق، ص199.

[4]– نفسه، ص200.

بالطبع مع المحافظة على الموضوعية وتقبل النقد البناء، بالإضافة إلى أنّه من غير المنصف والموضوعية أن يتم انتقاد منهجه تبعا للمنهجية الأكاديمية المتفق عليها في الوقت الراهن لأن طبيعة العصر الذي تعامل فيه مترجمنا مع الحادثة التاريخية كان في ظل الاستعمار الفرنسي والصعوبات والظروف المحيطة به أجبرته لتحديد هدف معيّن تمثّل في الحفاظ على الهوية الشخصية الجزائرية وهو ما يتوافق معه قول الدكتور عبد القادر خليفي: "في تقديرنا فإنّ الحديث عن المنهج الأكاديمي والمطالبة بحضوره في هذا النمط من الكتابات يعدّ مطلبا غير موضوعي، إذا ما نحن أخذنا بعين الاعتبار للظروف المصاحبة لعملية التاريخ في حد ذاتها ناهيك عن مقاصدها النبيلة"[1].

ورغم ما يلاحظ على منهج –توفيق المدني– في نقد وتفسير الأحداث إلاّ أن ذلك لا ينفي مدى براعته في تدوين الأحداث وذكاءه الوقّاد في التعامل معها وتتبعها من أصولها الأولى ولنشاطه وحماسه وحيويته[2]، كما أن ذلك يبقى سوى تصوره الخاص الذي انطلق من ثقافته وميولاته التي تعبر عن مواقفه المختلفة إلى جانب كل ظاهرة أو حادثة تاريخية، وهو ما يثبته قول "الدكتور ناصر الدين سعيدوني" بأنّ التاريخ يبقى سوى تصور شخصي للأحداث لأن الحادث مهما خضع لمواصفات المنهجية وتقييد بطرقها لا يمكن إعادته كما وقع وإنّما نعيد تصوره من خلال فهمنا للماضي انطلاقا من ثقافتنا وميولنا وموقفنا من الأحداث[3].

المطلب الثالث: توظيفه للتاريخ

حاول الاحتلال في تعامله مع التاريخ تسخيره لخدمة أهدافه الرامية لطمس الشخصية الوطنية الجزائرية، مبرّرا بذلك الغزو الفرنسي بأنّه السلم الفرنسية التي أنهت القرون المظلمة التي عاشتها الجزائر في ظل الفتوحات الإسلامية. [4]

لذلك ذكر الدكتور جمال عطابي أن أحمد توفيق المدني سعى في توظيف التاريخ لبعث الأمة الجزائرية إلى الحياة من جديد في مواجهة عملية هدم المقومات الوطنية والدينية واللّغوية ، إضافة إلى إيقاظ الوعي الجماهيري لجمع شمل الجزائريين وتوحيد صفوفهم ضد الاستعمار الغاشم[5]، وهو ما يوافقه فيه ما جاء في قول الدكتور مولود عويمر: "يوظف الأستاذ المدني التاريخ كوسيلة لنشر الوعي الوطني

[1]– عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص15.

[2]– عبد الكريم بوصفصاف، المرجع السابق، ص250.

[3]– ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص26.

[4] – خير الدين شترة، المرجع السابق، ص1443.

[5] – مولود عويمر، المرجع السابق، ص08.

وترسيخ الانتماء القومي وتحقيق التعايش الإنساني"[1] في حين يذكر الدكتور الجيلالي صاري إلى "أنّه... في توظيفه للتاريخ لتحسين صورة الشخصيات التاريخية التي كانت رمز التضحية في سبيل الوطن"[2].

وتمثلت أهدافه أيضا في تأكيد أن الجزائري مستقل وأن له تاريخا غير تاريخ فرنسا وله ثقافة غير ثقافة فرنسا، تبعا لما كان يقوله الشيخ عبد الحميد ابن باديس: "إنّ هذه الأمة الجزائرية ليست هي فرنسا ولا يمكن أن تكون فرنسا... هي بعيدة عن فرنسا كل البعد في لغتها وأحلامها وفي عنصرها وفي دينها... إننا شعب خالد مثل كثير من الشعوب"[3].

فاحتكاكه المبكر بالشعب التونسي ثم الشعب الجزائري أعطى له فكرة أن المحرّك الأساسي لتحقيق الحرية والاستقلال (وهو ما اكتشفه كلّ من ابن خلدون وبروديل) هو الشعب لذلك سعى مترجمنا أن ينمّي ذلك الشعور عن طريق كتاباته التاريخية مخاطبا فيها ومحفزا لشعورهم القويّ للثوران ضد الاستعمار، وليحببهم كذلك في تاريخهم الإسلامي العربي ويذكرهم ببطولاتهم العظيمة ضد الاستعمار الذين تعرضوا له على مرّ السنين، فطبيعة العصر المتمثل في الاحتلال الفرنسي هو الذي دفع مترجمنا لينصرف في توظيفه للتاريخ في سبيل حماية الهوية الوطنية والتراث التاريخي الجزائري الذي تعمّد الكتاب الفرنسيون تزويره بالإضافة إلى الجزائريين المتأثّرين بالثقافة الغربية الذين باتوا ينكرون وجود كيان جزائري أو شخصية جزائرية[4].

لهذا أعتبر توفيق المدني من مؤرخي النخبة الإصلاحية الجزائرية التي استجابت لتحدي من عملوا على تغييب الماضي العربي الإسلامي للجزائر لإبعادها عن تراثها الوطني والحضاري بنظرة جديدة من أجل دعم مقاومة الإسلام ضد الحضارة الأوروبية، وهكذا ظهرت كتابات تاريخية جادة استعمل أصحابها التاريخ لتأكيد الهوية الوطنية والردّ على شبهات الكتابات الاستعمارية، وكان مترجمنا أحمد توفيق المدني على رأس هذه الكتابات[5].

---

[1] – جمال عطابي، أحمد توفيق المدني وإسهاماته في النهضة الثقافية والعولمة الوطنية بالجزائر (1925م–1954م)، مجلة دراسات في العلوم الانسانية والاجتماعية، ع10، سيدي بلعباس، الجزائر، 10 جوان 2019م، ص324.

[2] – جيلالي صاري، المرجع السابق، ص291.

[3]– قناة الحوار ، حياة علم من أعلام الفكر الإصلاحي في الجزائر " الشيخ عبد الحميد بن باديس " ، 22 فيفري 2020م، https://www.youtube.com.watch?v=efo65vug508.

[4]– خير الدين شترة، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة (1900م– 1956م)، جزء 2، ط 2، دار كردادة للنشر، بوسعادة، الجزائر، 2013، ص1443.

[5]– فارس كعوان، المرجع السابق، ص ص345–346.

المبحث الثاني: كتاباته التاريخية والفكرية

لقد كان المؤرخ والأديب أحمد توفيق من الكتّاب الجزائريين المعروفين بغزارة الإنتاج في الكتابة التاريخية[1]، والتي استطاع بها أن يثري المكتبة التاريخية الجزائرية والعربية بمجموعة نادرة من المؤلفات التي فاقت العشرين مؤلفا رغم الظروف التي كتبت فيها[2]، وعليه فإننا قسمنا هاته الكتابات وفقا للبيئتين التي عاش فيها ونقصد بذلك في كلّ من تونس والجزائر.

المطلب الأول: كتاباته المنشورة في تونس

1-1- تونس وجمعية الأمم: (1924م):

هو أوّل ما نشره بعدما افتتح باب التأليف والنشر[3]، وهو من كتب الدّعاية للقضية الوطنية التونسية[4]، وأعاد طبعها على شكل رسالة بمطبعة العرب بتونس سنة 1924م[5]، مترجم باللغة الفرنسية[6]، كما يذكر "محمد محفوظ" أنّ "المدني" نادى فيه بوجوب انسحاب فرنسا من تونس حسبما ورد في نص صريح من معاهدة باردو واتفاقية المرسى، ولهذا فهو يستنتج أنّ تونس دولة مستقلة، وأنّ هناك جنسية تونسية، وبناءًا على ذلك يحقّ لتونس أن تنضمّ حالا لجمعية الأمم المتحدة[7]، ونظرا لأهميتها نفّذت خلال أسبوع فقط.[8]

1-2- نضال إيرلندا أو الحرية ثمرة الجهاد (1923- 1924م):

هو كتيّب صغير في حجمه كبير في قيمته التاريخية[9]، طُبِع في تونس سنة 1923م[10] بعدها طبعها كرسالة[11] في مجلة الفجر[12]، وقد عالج فيها "المدني" نضال إيرلندا ضدّ الإنجليز[13]، ويشير "علي

---

[1]- عبد الكريم بوصفصاف، المرجع السابق، ص249.

[2]- بوعزة بوضرساية، المرجع السابق، ص351.

[3] - أحمد توفيق المدني، مذكرات حياة كفاح، ج 1، المصدر السابق، ص 439.

[4] - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 7، المرجع السابق، ص 419.

[5] - محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، المرجع السابق، ص 286.

[6] - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 419.

[7]- محمد محفوظ، المرجع السابق، ص 286.

[8]- أحمد توفيق المدني، مذكرات حياة كفاح، ج 1، المصدر السابق، ص 439.

[9]- أمين الشريف الزهار، مقابلة شخصية.

[10]- أمال معوشي، المرجع السابق، ص 202.

[11]- محمد محفوظ، المرجع السابق، ص 286.

[12]- أحمد توفيق المدني، مذكرات حياة كفاح، ج 1، المصدر السابق، ص 439.

[13]- أمال معوشي، المرجع السابق، ص 202.

مراد" قائلا أنّ: "هذا الكتاب يسعى إلى تصوير الأطروحة التالية: الحرية ثمرة الكفاح المسلّح"[1]، وكل هذا سعيا منه لإيقاظ الوعي الشعبي التونسي للثورة ضدّ الحماية الفرنسية.

1-3- معاهدة سيفر:

هي رسالة نشرها "أحمد توفيق المدني" في مجلة الفجر، و هي تعني معاهدة سيفر تلك التي فرضت على تركيا سنة 1920م ،و التي كانت بالنسبة له حسب قوله: "إلا حكما صارما بالإعدام على الأمة العثمانية وعلى أهل الدين الإسلامي عامة".[2]

1-4- كتاب تقويم المنصور: (في تونس)

هو أوّل ما كتبه سنة 1922م وعمره لا يتجاوز 23 سنة[3] على شكل مجلّة[4] تضم 320 صفحة[5]، شمل خمسة أجزاء حيث أصدر الثلاثة الأولى بتونس[6]، وقد قسّمه المؤلف إلى 13 بابا وبه 34 صورة وتمثّلت في: "باب القسم الفلكي، باب المباحث العلمية، باب بساتين العلوم، مرآة العالم، باقة من رياض الأدب، العالم الإسلامي، أشهر الحوادث وأعظم الرّجال، العالم الاقتصادي، القسم السياسي، عرائس الأفكار، العملة والمكاييل والمقاييس، مطبوعات السنة، في عالمي المشرق والمغرب"[7]، ويذكر الدكتور "أمين الشريف الزهار حفيد "أحمد توفيق المدني" أنه كان بمثابة سجل سنوي للشمال الإفريقي، وكما نرى فإنه احتوى على بحوث في كل من التاريخ والأدب وعلوم الاجتماع، إضافة إلى الفنون والإحصائيات والأحداث[8].

---

[1]- علي مراد، المرجع السابق، ص 141.

[2] - مجلة الفجر، مج 1، ع 11، جوان 1921م، (وثائق سلمتها لنا عائلة المدني)، ص 551.

[3] - اتحاد المؤرخين الجزائريين، المدرسة التاريخية الجزائرية، المرجع السابق، ص 145.

[4] - أمال معوشي، المرجع السابق، ص 203.

[5] - اتحاد المؤرخين الجزائريين، المدرسة التاريخية الجزائرية، المرجع السابق، ص 145.

[6] - عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص 104.

[7] - اتحاد المؤرخين الجزائريين، المدرسة التاريخية الجزائرية، المرجع السابق، ص 145.

[8] - أمين شريف الزهار، مقابلة شخصية.

المطلب الثاني: كتاباته المنشورة في الجزائر.

1- أثناء الإحتلال الفرنسي :

1-1- قرطاجنة في أربعة عصور:

يعد كتاب قرطاجنة في أربعة عصور مؤلفا فريدا من نوعه لم يسبقه إليه أحد[1]، طبع سنة 1921م[2] بتونس وقام بنشره صديقه حسين الجزيري[3]، ضمن 176 صفحة[4]، وأما عن دوافع تأليفه لهذا الكتاب فقد جاء استجابة لإرادة بعض أقطاب الحركة الإصلاحية أمثال الميلي وعبد الحميد بن باديس[5] اللّذان أكدا على أنّ الجهاد بالعلم لا يقل أهمية عن أي صنف آخر من أصناف المقاومة[6]، بالإضافة لسدّ الفراغ في التاريخ القديم للشمال الإفريقي عامة نظرا لندرة المؤلفات باللّغة العربية في هذا الجانب[7]، وللردّ على مزاعم بعض الكتّاب الغربيين خاصة ما قام به "لوي برتران"[8]، الذي أراد اثبات لاتينية بلاد المغرب[9].

ويذكر محمد محفوظ أن المدني اختار أبدع الصور الأثرية وطبع له مصورا جغرافيا لكامل المغرب العربي بحجم كبير وواضح الشكل على يد عمر راسم[10]، ونشير بذلك لنقود أثرية قرطاجية وصور مختلفة لرهبان قرطاجيين ...إلخ.

في حين علقت الشّهاب : "ألفه صاحبه في هذا الموضوع الفقير من الكتابة فيه لساننا العربي فحرره في أسلوب فصيح وترتيب محكم واستنتاج صحيح وتعليق معقول، وملاحظات وجيهة"[11].

وأمّا عن منهج التأليف فقد ذكر الدكتور رابح لونيسي أنه انتهج المنهج الحديث[12]، وتأثر به الشيخ الميلي حسب ما ذكره سعد بن شنب[13].

---

[1]- اتحاد المؤرخين الجزائريين، المدرسة التاريخية الجزائرية، المرجع السابق، ص146.

[2] -hassen remaoun, les historiens issus du mouvement national, insaniyat, N° 25-26. Juillet – december, 2004, p230.

[3]- جمال عطابي، المرجع السابق، ص321.

[4]- فارس كعوان، المرجع السابق، ص357.

[5]- عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص107.

[6]- صالح علواني، المرجع السابق، ص 13.

[7]- فارس كعوان، المرجع السابق، ص360.

[8]- عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص107.

[9]- صالح علواني، المرجع السابق، ص13.

[10]- الشهاب، السنة الثالثة، ع115، 29 سبتمبر 1927م، ص21.

[11]- فارس كعوان، المرجع السابق، ص361.

[12]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع الباق، ص420.

[13]- رابح لونيسي، دراسات حول ايديلوجية وتاريخ الثورة الجزائرية، دار كوكب العلوم للنشر، الجزائر، 2012م، ط2، ص161.

ويتوزع الكتاب على مستهل ومقدمة وخمسة أقسام وخاتمة، فالكتاب الأول جاء تحت عنوان دولة قرطاجة أما الكتاب الثاني فعنونه بقرطاجنة الروم والكتاب الثالث قرطاجنة الوندال والكتاب الرابع قرطاجنة البيزنطية[1].

أما مقدمة الكتاب فقد ذكر مترجمنا في الشهاب أنها كانت تبحث في جغرافية تونس الجزائر والمغرب الأقصى، وعن أصل البربر وأنواعه بالإضافة إلى حالة البلاد قبل التاريخ، وختم كتابه بذكر الفتح العربي والعوامل التي ساهمت في انجاح الإسلام واستقراره في المنطقة[2] اين انتهى تشكيل الأمة الجزائرية الحالية[3].

وفي الكتاب تعاليق مختلفة عن الحوادث التي وقعت في تلك العصور[4]، وهو ما لاحظه الدكتور رابح لونيسي قائلا: "نلاحظ في الكتاب محاولة من صاحبه لقراءة الحاضر الاستعماري الفرنسي بعيون الماضي ونجد لديه تعاطفا كبيرا مع القرطاجيين فهم يشبهون العرب الفاتحين حيث أخرجوا البربر من الظلم إلى النور... أما الرومان فيشبهون الاستعمار الفرنسي حتى من ناحية الملكية الزراعية حيث أصبح البربري تحت سلطة روما لا يملك شبرا من الأرض ..." [5].

لقد حاول توفيق المدني من خلال هذا الكتاب إذكاء الشعب من خلال وصفه لدولة قرطاجنة التي كانت عظيمة في شأنها في منطقة المغرب العربي "تونس" نظرا لتطورها في الحياة العلمية والأدبية والمدنية كذلك لإظهارها كدولة وطنية على عكس ما كانت تصورها الكتابات التاريخية الغربية فعلى الرغم من تواجد الاختلاف في شعبها إلا أنها استطاعت تحقيق وحدة شعبها الممزوج بالبربر والفينيقيين الذين استطاعوا تشكيل دولة عظيمة ذات نفوذ، ومبيّنا من جهة أخرى ذلك الوجه الحقيقي للاحتلال الروماني التي حاول الكتّاب الغربيون تبييض وجوههم للجريمة النكراء التي ارتكبها في حق المنطقة التي استحال الباحثون العثور على بقايا حياتهم العلمية والأدبية لحد الآن، بالإضافة لتغنيه بالبطولة والشجاعة التي كان يتميز بها الجندي القرطاجي الممزوج بالبربر والذين كانوا يمثلون رمز الوفاء بالعهد والتضحية في سبيل الوطن أمثال "حنون" و"حنبعل"[6] سعيا منه لصد الضعف الذي أصاب شعوب المغرب العربي والتعاسة التي اعتمدها المحتل لإحباط عزائمهم على أنهم شعب لاتيني ودون حضارة.

---

[1]– أحمد توفيق المدني، قرطاجنة في أربعة عصور من عصر الحجارة إلى الفتح الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، دط، من ص163 إلى 165.

[2]– الشهاب، السنة الثالثة، ع92، قسنطينة، 14 أفريل 1928م، ص ص 19–20.

[3]– رابح لونيسي، المرجع السابق، ص159.

[4]– أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص20.

[5]– محمد الصالح الصديق، شخصيات فكرية وأدبية، المرجع السابق، ص336.

[6]– أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص37–46–51.

وهكذا ذكر مديني بشير أن عبد الرحمان الجيلالي قال: "كتاب قرطاجة جاء بأوسع وأعمق فهو دراسة معمقة وتحليل وتعليل لقضايا الشمال الافريقي... وبحث استقصائي شاذ في تاريخ جميع الشعوب والأمم والدول التي تعاقبت على هذا الوطن عرقيا وسياسيا واجتماعيا وثقافيا وحضاريا وعسكريا ومدنيا"[1] ويشير فارس كعوان إلى أن كتابه لم يشمل الجانب الحضاري إلاّ جزءا محدودا بل كان مركزا أكثر على الأحداث السياسية والعسكرية[2]، وهو الملاحظ فعلا فهو لم يتحدث عن الجانب الحضاري كثيرا بل ركزّ على الأحداث السياسية والعسكرية أكثر.

وباعتباره نموذجا حيّا عن المقاومات البربرية للاحتلال الأجنبي، مما جعله يترك تأثير كبير على بعض أصحاب النزعة البربرية[3]، فلقد اعترف كل من السيد سعيد شيبان ومحند إيدير آيت عمران* حقيقة أنه كانت بدايات اهتمامه بالأمازيغية بدأت بالفعل عند قراءته واطلاعه على هذا الكتاب ويمكن للمرء أن يقول عنه بأنّه رجل استثنائي بلا شك[4]، وأشار كذلك الدكتور رابح لونيسي أن محند إيدير آيت عمران قد كتب ما تركه هذا الكتاب في نفسيته قائلا: "قلب وجودي وحدد نهائيا توجهاتي ومشاعري وإيديولوجيتي الوطنية... وقد كان بالنسبة لي حقيقة جديدة... حيث اكتشفت أن تاريخ بلادي لا يعود الى القرن 7م فقط، لكنه أبعد وأعمق من ذلك"، ويضيف قائلا: "وقد قرأت الكتاب عدّة مرات لأنه ربط بين حاضري وماضي الغامض"[5]، وكلّ ذلك يبرز المكانة التي اكتسبها الكتاب عند الوطنيين في الجزائر.

أمّا ثغرات الكتاب فيذكر الباحث فارس كعوان أنّه يعاب على كتاب المدني من خلال الفترة التي عالجها طويلة ولا يمكن لتأليف لم يتعدى 157 صفحة أن يلم بكل جوانبه الموضوع المدروس كما كان كثيرا ما ينتقل من المراجع دون ذكرها بالإضافة إلى استخدام أسلوب المبالغة أحيانا في وصف الأحداث[6]، ويضيف الدكتور رابح لونيسي إلى الإشارة أنّه اعتمد على 26 عشرين مرجعا فرنسيا واكتفى بمصدرين[7] عربيين*.

---

[1]- اتحاد المؤرخين الجزائريين، المدرسة التاريخية الجزائرية، المرجع السابق، ص140.

[2]- فارس كعوان، المرجع السابق، ص360.

[3]- رابح لونيسي، المرجع السابق، ص159.

*- **المفوض السامي للأمازيغية**، ينظر: نفسه، ص159.

[4] - soraya guemmouri, hommage A ahmed tewfik el madani au forum de la mémoire:un grand témoin de l'histoire de l'algérie, 22/02/2020, 15:00 du
Soir, https://www.elmoujahid.com/fr/mobile/detail-article/id/83900.

[5]- رابح لونيسي، المرجع السابق، ص159.

[6]- فارس كعوان، المرجع السابق، ص360.

[7]- رابح لونيسي، المرجع السابق، ص161.

* - **المصادر العربية هي: ديوان الخبر لإبن خلدون ورحلة التيجاني**، ينظر: الشهاب، السنة الثالثة، ع121، 10 نوفمبر 1927م، ص ص 8-9.

إلاّ أنّ مثل هذه الهفوات لا تنقص من قيمة الكتاب، ولا من أهمية موضوعه الذي استطاع به مترجمنا أن يبذل فيه قصارى جهده لدحض الكتابات الرامية لجعل المنطقة لاتينية تابعة لما جاء به الرومان، وكشف لنا حقائق لم يسبق أن تناولتها الكتب من قبل، ولقد اعترف النقاد الأجانب بأنفسهم على أن الكتاب كان عبارة عن مدرسة تاريخية جديدة حطمت النظريات الاستعمارية القديمة وسار منهجها كل المؤرخين الجزائريين الذين كتبوا من قبله[1]، فلقد ذكر المؤرخ الفرنسي جامس ماكدوغال"james macdougall" بأنّ أحمد توفيق المدني قام بإعادة صياغة التاريخ القديم لشمال إفريقيا وفقا لمبادئ البناء الوطني لإعادة تأسيس صورة كانت لديه في نفسه وعن مجتمعه وتاريخه[2]، ونوهت له الشهاب بقولها أنّه يعدّ حاجة لكل إفريقي[3].

1-2- كتاب تقويم المنصور: (1922م): (في الجزائر) :

بعد صدور قرار نفيه إلى الجزائر "أي من 1922م- 1923م إلى 1924م"[4]، أتمّ المدني إصدار الجزأين الرابع والخامس في الجزائر سنوات 1926م- 1929م[5] بنفس الحجم[6]. ونرى أنه تضمن في الجزء الخامس لتقويم المنصور بحثا حول "المهدي محمد بن تومرت" والخليفة "عبد المؤمن بن عالي"، بالإضافة إلى تقديمه لشروحات قيام دولة الموحدين والمبادئ التي قامت عليها وتوحيدها لبلاد كل من المغرب العربي والأندلس الإسلامية تحت راية واحدة، ثم بعدها انتقل للتّحدّث عن أزمة اللغة العربية وعلاجها، إضافة إلى ذلك، تناول بحثا عن الخط العربي والدّعاية لاستعمال الحروف اللاتينية، وخلص بعد ذلك للحديث عن كتاب "مرآة العالم" والعالم الإسلامي الذي احتوى على بحث غنيّ عن أفغانستان، وتلاه بحث شامل عن بقية دول الإسلام والمغرب العربي، ثم نقد كتاب "الأدب العربي في كتاب الأقصى" لـ"محمد بن العباس القباج"، ويشير "أحمد توفيق المدني" بنفسه إلى أنه اقتبس منه أشعارا تستفزّ الشعور وتثير الهمم من أجل تحرير البلاد.[7]

وعقب صدوره نوّهت به الشهاب فقالت: "... علم حي وأدب غض وتاريخ قومي ومختارات نفسية وقطع عائقة في ستة عشر بابا... وموجبا لتقدير عمل هذا الكاتب البارع والإعجاب به"، وتضيف: "شاب

---

[1]- أحمد أمين الشريف الزهار، مقابلة شخصية.

[2] - James macdougall, "soi –même" comme une autre, les histoires colonieles d'ahmed tawfiq al-madani (1899-1983), revue des mondes musulmans et de la méditerranée, avril 2002, poblication de luniversité de provenne, p09.

[3]- الشهاب، ع115، 29 سبتمبر 1927م، ص21.

[4] - خثير عبد النور وآخرون، المرجع السابق، ص 137.

[5] - فيروز برجوج، نعيمة مردف، الكتابة التاريخية عند أحمد توفيق المدني (1914- 1983م)، عثمان رجب، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تخصص تاريخ المغرب الحديث والمعاصر، جامعة الشهيد حمة لخضر، الوادي، 2018م، ماستر، ص 38.

[6] - أمين الشريف الزهار، مقابلة شخصية.

[7] - أحمد توفيق المدني، مذكرات حياة كفاح، ج 2، المصدر السابق، ص 225- 226.

مبعد عن أبويه وأحبابه ورفاقه وأترابه يثابر على عمله ويصدر تقويما كل عام... حقا إنك لفخر الشاب وقدوة الناهضين..."[1].

ونظرا لأهميته ذكر "بشير مديني" في قوله: "ذلك هو كتاب تقويم المنصور الذي يعتبر من أرقى ما جاءت به قريحة الإنسان آنذاك... "، وهو ما يؤكّد بحق أنّ الكتاب كان موسوعة ثرية دام ثماني سنوات في الصدور "1922- 1930م[2] لِما احتواه من أفكار تحريرية[3]، وهذا ما يفسّر لنا أنّ "أحمد توفيق المدني" كان يؤمن من قبل بالحرية والاستقلال، أي منذ تواجده بتونس، وبقي على هذا المنوال في الجزائر أيضا، وعليه رأت السلطات الاستعمارية الفرنسية بمصادرة الكتاب من جميع بلاد المغرب العربي وذلك في الثامن من فيفري 1926م[4] كونه يروّج لأفكار خطيرة تهدّد باستقرارها في البلاد.

1-3- كتاب محمد عثمان باشا (1938م):

هو كتاب طبعته المكتبة المصرية بالجزائر[5] سنة 1938م[*]، من الحجم المتوسط إذ به 191 صفحة، ثم ختمه بشعر للشيخ "محمد العيد"[6].

وضّح "أحمد توفيق المدني" أنّ هدفه من تأليف هذا الكتاب هو تفنيد الأطروحات الغربية[7] التي تعمّدت طمس الحقائق التاريخية على أنّ الدولة العثمانية كانت عبارة عن مستعمرة بالجزائر[8].

في مقدمة الكتاب تناول مترجمنا تاريخ العهد العثماني في الجزائر بشكل موجز محاولا فيها الرّد على التّهم الباطلة ضدّ الجزائر خلال العهد العثماني بطريقة علمية وموثقة[9] قائلا: "ففنّدتها تفنيدا وأوردت صفحات الكتب المنصفة ومن شهادات ذوي الحصافة والرأي وما يعيد الحقيقة إلى نصابها"[10]، غاية منه

---

[1] – الشهاب، السنة الثانية، ع 51، قسنطينة، 30 أوت 1926م، ص 09- 10.

[2] – اتحاد المؤرخين الجزائريين، المدرسة التاريخية الجزائرية، المرجع السابق، ص 145- 146.

[3] – عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص 104.

[4] – نفسه، ص 104.

[5] – محمد محفوظ، تراجم المؤلفين، مرجع سبق ذكره، ص 288.

[*] – [**]اختلف المؤرخون حول سنة إصدار الكتاب، وعليه يذهب كل من أبو القاسم سعد الله ومحمد محفوظ أنّ الكتاب طُبِع سنة 1938م، بينما ذكر عبد القادر خليفي أنه صدر سنة 1937م[**]. ينظر: أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق ، ص 420، ومحمد محفوظ، المرجع السابق، ص 288. وأيضا: عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص 111.

[6] – أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر (1766- 1791م)، سيرته، حروبه، أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م، ص 189- 190.

[7] – أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر (1766- 1791م)، المصدر السابق، ص 7- 9.

[8] – محمد الصالح الصديق، شخصيات فكرية وأدبية، المرجع السابق، ص 336.

[9] – اتحاد المؤرخين الجزائريين، المدرسة التاريخية الجزائرية، المرجع السابق، ص 146.

[10] – أحمد توفيق المدني، مذكرات حياة كفاح، ج 2، المصدر السابق، ص 383.

لتوضيح حقيقة الحكم التركي في الجزائر على نقيض ما جاء في قول الدعاية الاستعمارية بأنّ فرنسا أنقذت الشعب الجزائري من ظلم وجبروت الحكم التركي.[1]

أما القسم الأول للكتاب فقد خصّصه لذكر تسلسل الحكّام العثمانيين والحوادث التي ميّزت حكمهم من 1515 إلى 1830م[2].

وتناول في القسم الثاني سيرة الداي محمد عثمان باشا مستندا فيها على مذكرات نقيب الأشراف بالجزائر[3]، وكذلك كتاب التحفة المرضية في الدولة البكداشية ودفتر التشريعات السّجل الرسمي للدولة، بالإضافة إلى ما كتبه "فونتان دوباردیس"عن الداي عثمان باشا.[4]

ثم انتقل في القسمين الثالث والرابع للتّحدّث عن مضامين دفتر التشريعات بالإضافة إلى مقتطفات من مذكرات "غانتودي برادي" الذي أقام بالجزائر، ويذكر "محمد غالم" أنّ "المدني" اعتمد عليها في وصف الحالة الاجتماعية والاقتصادية، وتناول إحصاء السكان بالإضافة إلى التنظيم السياسي والعسكري[5] إضافة، فلقد شهد الدكتور "ناصر الدين سعيدوني" على أنّ الكتاب جاء كخلاصة مخصّصة للعهد العثماني للجزائر".[6]

بينما يذكر "ميسوم بلقاسم" أنّ "توفيق المدني" كان في أغلب ما كتبه يُظهِر عاطفته وميله للحكم العثماني عامة، و"محمد عثمان باشا" خاصة، ويظهر ذلك جليا في ترديده لكلمة "رحمه الله"، إضافة إلى أنه تهاون في ضبط معلوماته بخصوص الأخوان "بربروس" الذين اشترطوا على السلطان "الحفصي أبي عبد الله" باستفادتهم من الرسوم في الموانئ التابعة لتونس مقابل حصولهم على خُمس الغنائم البحرية ويضيف قائلا بأنّ تأثره الشديد بشخصية الداي جعلته يتغاضى عن ذكر حقائق ميّزت "محمد عثمان" ولم يذكر موقفه المريب من ترك الأسرى العرب في أسر الأسبان ومساعدته للأسرى التركيين فقط، ليس ذلك فقط بل إنّ "أحمد توفيق" لم يُعِر اهتماما واضحا ومركزا على ما حدث أثناء فتح وهران سنة 1792م الذي يعتبر أهم حدث حيث تمت السيادة التامة على التواجد الأيبيري.[7]

---

[1] – رابح لونيسي، المرجع السابق، ص 164.

[2] – محمد غالم، المرجع السابق، ص 196.

[3] – أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص 77.

[4] – رابح لونيسي، المرجع السابق، ص 165.

[5] – محمد غالم، المرجع السابق، ص 196.

[6] – ناصر الدين سعيدوني، الكتابات التاريخية حول الفترة العثمانية من تاريخ الجزائر، مجلة الثقافة، ع 45، الجزائر، 1978م، ص 42.

[7] – فيروز برجوج، نعيمة مردف، المرجع السابق، ص 113– 115.

بالرغم من هذه النقائص إلا أن محمد عثمان باشا وُفّق في اختيار الرجال الحكّام الأكفاء سياسيا وعسكريا وإداريا، وقد حمل على عاتقه تنفيذ مشروع نهضوي حضاري كان يتطلّب وقتا طويلا وجهودا ضخمة ومتظافرة، إلا أنّ وفاته سنة 1791م أدّت إلى دفن المشروع بفعل عوامل داخلية وخارجية، وكل ذلك يؤكد لنا أنّ الدّاي كان من بين الحكّام العثمانيين الصالحين الذين شرّفوا التاريخ الجزائري الحديث.[1]

وقد ذكر "عبد القادر خليفي أنّ "أحمد توفيق المدني" استطاع تقديم دراسة هامة تتّصف بقدر كبير من الموضوعية في معالجة الوجود التركي في الجزائر[2]، ويتميّز الكتاب بمنهج علمي صارم جعل العلّامة "ابن باديس" يدعو الشباب المسلم للاطلاع عليه بهدف جعله أكثر بغضا وكرها للاستعمار الفرنسي وبالتالي يعرض فيه الرغبة والاستعداد للثورة عليه، وبتقريض زعيم الحركة الإصلاحية يؤكّد إلى حدّ كبير أنّ الهدف المبتغى في الكتاب قد تحقّق[3]، وتزداد أهمية هذا العمل كما ذكر "عبد القادر خليفي" إذا علم المرء الظروف الصعبة لصدوره[4] خاصة أثناء تلقّي المدير العام "لمكتبة هاشيت" توبيخا وتهديدا عنيفين من الإدارة الاستعمارية وكل هذا التخوف يؤكّد لنا إلى حدّ كبير مدى مصداقية الحقائق الموجودة في الكتاب.[5]

1-4- كتاب الجزائر:

هو من الأعمال التي اشتهر بها المدني لدى مفكري المغرب العربي والوطن العربي خاصة والغرب عامة، كان تأليفة سنة[6] 1930* وقت كانت فرنسا تحتفل بمرور 100 عام على احتلالها للجزائر[7] ولقيت الساحة الجزائرية فراغا رهيبا من ساساتها.

وأما عن دوافع تأليفه لهذا الكتاب فيذكر علي مراد أنه جاء لدحض الأطروحات التي روّج لها الاستعمار أثناء الاحتفالات المؤوية[8]، من خلال تقديم عرض وطني للتاريخ الجزائري مع السعي إلى البرهنة على استمرار الدولة الجزائرية عبر التاريخ[9]، لذلك جاء في قول مترجمنا: "حتى تعرف وطنك حق

---

[1] – بن عتو بلبروت، "الداي محمد بن عثمان باشا وسياسته" 1766- 1791، مجلة عصور، ع 6، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة بلعباس، جوان- ديسمبر، 2005، ص 80- 94.

[2] – عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص 113.

[3] – رابح لونيسي، المرجع السابق، ص 166.

[4] – عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص 113.

[5] – محمد محفوظ، المرجع السابق، ص 289.

[6] – أمين الشريف الزهار، مقابلة شخصية .

[*] – [**]يختلف المؤرخون حول تاريخ صدوره، فنذكر بذلك قول حسن رمعون وأبو القاسم سعد الله، أن سنة صدوره كانت سنة 1932، في حين يذكر مرلفه أحمد توفيق المدني بأنه صدر سنة 1931[**]، ينظر: أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص420، وأيضا : Hassen Ramoun, op cit, p230.

[7] – أمين الشريف الزهار، مقابلة شخصية.

[8] -Ali Morad, op cit, p105.

[9]- Ali Morad, op cit, p105.

المعرفة، ولا تزداد بمعرفتك... إلا حبا له وغراما... فهو وطن ماجد تاريخه نبيل، ورجاله أبطال، وأرضه صالحة وأمته حية شريفة"[1]. لتأكيد الفكرة القوية لوجود أمة جزائرية[2].

لبث مترجمنا أربع سنوات في الجمع والترتيب، وسنة واحدة في تحريره وتنسيقه[3] إلى أن أخرجه في أبهى حلّة، يحمل في غلافه شعارا للوطنية[4] "الإسلام ديننا، الجزائر وطنا، العربية لغتنا"[5].

أما أسلوبه في الكتاب فيذكر "جيلاني ضيف": "أنه كان يطلق العنان لقلمه ليعبر عن جانب من مشاعره وذاتيته، وكيف لا يفعل وهو يكتب عن تاريخ وطنه الذي يرى العابثين يفسدون تاريخه وينكرون عليه الحقائق آملين بذلك أن يستطيعوا مسح هذا الماضي وتعريف أبنائه عنه، ومن الأكيد أننا نجد الحماسة تسري في جمله وعباراته وكأنه كان يكتب ليرافع في تاريخ أمة التي حاول الاحتلال الفرنسي أن يفنيها"[6].

وقد سجل فيه تاريخ الجزائر من أقدم العصور إلى سنة 1930م كاشفا الكذب الذي لفقه الاستعمار، وأقرضه العلّامة عبد "الحميد بن باديس" في الشّهاب بقوله: "كتاب الجزائر عنوان قويّ بين دفّتيه من المعلومات بلسانها العربية ... له أثر خاص مفعم بمعاني التجديد ليتسنّى للباحثين معرفة المدى الذي بلغته الجزائر من الرقيّ والانحطاط في جميع أدوار حياتها..."[7]، وهذا التنويه جعل المؤلف يرى كأحسن وكأفضل أمل للحركة الإصلاحية الجزائرية، لأنّ امتداح ابن باديس له ليس باعتباره كصديق نبيل بل كرفيق كفاح ومساعد ثمين.[8]

كما كتب عنه الأمير الأديب "أرسلان" فصولا في مجلّة الفتح[9]، ذاكرا بأنه أحسن ما أخرج في ذلك العصر، ففيه يستطيع القارئ أن يتأمل مدى الظلم والتّعسف الذي كانت تمارسه السلطة الفرنسية على الأهالي المسلمين والمكائد التي أدرجوها في قوانينهم للقضاء على كل شيء يمتّ للإسلام بِصِلَة[10]، بالإضافة إلى ذلك نجد أنه تناولته بالكتابة والتّعاريف عدّة مجلّات كمجلة المجتمع العلمي العربي[11]،

---

[1]– أحمد توفيق المدني، الجزائر، المطبعة العربية للنشر والتوزيع، د.ط، د.ب، د.س، ص3.

[2] - Mouhamed salah boukechour, l'écriture de l'histoire de l'Algérie période coloniale (1830-1962): sources et perspectives, revue des etudes humaine et sociales, sciences sociales, université hassiba ben bouali de chlef, 16 juin 2016, p5.

[3]– محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، المرجع السابق، ص286.

[4]– عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص20.

[5]– ينظر: في غلاف الكتاب ، الملحق رقم : 07.

[6]– فيروز برجوج، نعيمة مردف، المرجع السابق، ص ص 95–96.

[7]– وسيلة فدفاد، المرجع السابق، ص ص 45– 46.

[8] - Ali Merad. Op cit. P 105.

[9] – محمد محفوظ، المرجع السابق، 287.

[10] – مجلة الفتح، السنة الثالثة، ع 289، القاهرة، 10 مارس 1992م، (وثائق سلمتها لنا عائلة المدني)، ص 14.

[11] – وسيلة فدفاد، المرجع السابق، ص 46.

و"محمد علي كرد" في مجلة "القبس" والدكتور "حسين مؤنس" في مجلة البحوث الإسبانية، والدكتورة "بنت الشاطئ" في الأهرام، كما عني العالم الغربي الأوروبي بنقده والكتابة عنه والاقتباس منه جمهرة من العلماء والكتّاب والباحثين أمثال "ماسينيون" "massignion" و"شارل أندري جوليان" charles andrey julian و"جاك بيرك"jack burke "وغيرهم.[1].

ويلاحظ "ميسوم بلقاسم" بأنّ "المدني" التزم فيما قدّمه بالصّدق والدّقة في تسجيل الأحداث ونجده متدخّلا بطرح آرائه في مختلف القضايا[2] التي تناولها، وتلك هي الرؤية الصحيحة للمؤرخ لأن العمل الأساسي للمؤرخ ليس فقط تدوين الأحداث التاريخية أو ما يسمّى بالتاريخ، وإنما تقويمها ونقدها، وأن يبدي رأيه في هذه الأحداث التي يقوم بسردها وذلك طبقا للقاعدة التي وضعها "سكوت" "skot" :" إن الحقائق مقدسة أما الرأي فهو حرّ"[3] .

وباختصار يعتبر الكتاب عظيم الأهمية في دراسته للحياة العامة بالجزائر، وقيمته الحضارية والتاريخية والتجديدية جعلت الدكتور "مولود قاسم نايت بلقاسم" يقول أنه: "لو لم يكن للأستاذ "أحمد توفيق المدني" إلا هذا الكتاب لكفاه فخرا"[4]، ولعلّ هذا هو ما يبيّن حسبما قاله "جامس ماكدوغال" "الدور الهام الذي احتلّه المدني في بناء المعرفة المعادية للاستعمار ومساهمته القوية في إعادة الشعور بكرامتهم الوطنية من خلال الكشف عن تاريخه وقيمه الثقافية وغرس فخر الانتماء إلى الوطن العربي الإسلامي[5]، ودفعهم للثورة لنيل الحرية والاستقلال.

وما يلاحظ في الأخير أنّ "أحمد توفيق المدني" وُفِّق كثيرا في كتابه "الجزائر" الذي كان ولا يزال رمزا هاما يعود إليه الدارسين والباحثين الأكاديميين في أعمالهم التاريخية والبحثية، وعليه قام "مفدي زكريا" بتقريضه قائلا: "اقرأ كتابك للأجيال يا مدني *** وبُثّ في أذن التاريخ مآثره ... وليشهد السّلف الآباء عن كثب ما جئت ترويه من عزّ بهم قمن *** وليذكر الخلف الأمجاد في غدهم *** ما كنت بالأمس تتلوه على غصن في ذمة الله والتاريخ".[6]

---

[1] – محمد محفوظ، المرجع السابق، ص 287.

[2] – فيروز برجوج، نعيمة مردف، المرجع السابق، ص ص 95– 102.

[3] – عبد القادر بكاري، منهج الكتابة التاريخية عند المؤرخين الجزائريين في العهد العثماني (1519– 1830م)، محو فغرور، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، تخصص التاريخ الحديث، جامعة وهران، 2016م، الدكتوراه، ص 313.

[4] – عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص 110– 111.

[5] - James Macdogall, op cit, p 02.

[6] – تقريض الشاعر مفدي زكريا، ينظر: وثائق سلمتها لنا عائلة المدني.

1-5- كتاب "المسلمون في جزيرة صقليّة وجنوب إيطاليا (1946م)":

تناول "أحمد توفيق المدني" بعد كتابه الجزائر كتابا آخر بعيد كل البعد عن التاريخ الوطني الجزائري نظرا للتّحذير الأخير الذي تلقّاه من الإدارة الاستعمارية بسبب كتابه السّابق وهكذا جاء كتابه "المسلمون في جزيرة صقليّة وجنوب إيطاليا" لا يمتّ بأي بصلة بالسياسة والوضعية الحاضرة في الجزائر[1] عقب الحرب العالمية الثانية وبالضبط بعد مجازر الثامن من ماي 1945.[2]

ويذكر الدكتور "ميسوم بلقاسم" أنه صدر سنة 1946م[3] وطبعته المطبعة العربية بالجزائر[4] لذلك فهو يعتبر أوّل كتاب عن صقليّة باللغة العربية.[5]

حدّد "توفيق المدني" في مقدّمة كتابه حافزه وهدفه منه المتمثل في إحياء التاريخ الإسلامي في صقلّية بالإضافة إلى إنصافهم أمام التاريخ الذي حاول فيه عدد من المؤرخين الإسبان تعريفه، وفي نفس الوقت يستغل ذلك بطريقة ذكية وغير مباشرة لينير الطريق الأصح للشباب الجزائري وتوجيههم بقوله: "فعلينا –ونحن أبناؤهم– أن ندرس بروراً بهم تاريخهم في حالتيه، لنحيي ذكرهم وننصفهم حقّهم... ثم لنستخرج من كل ذلك عظات وعبر تنير أمامنا جادة السير في طريق الحياة الحقّة حياة العمل والبحث والسعادة وتحقيق الآمال.[6]

جاء تقسيم الكتاب في تسعة أقسام، خصّص من القسم الأول إلى القسم السابع[7] قدّم فيها العالم العربي دراسة وافية ومركّزة عن جغرافية صقلّية وتاريخها القديم، ثم أفاض الكلام عن الفتح الإسلامي وأسبابه وظروفه واندفاع المسلمين نحو تلك الجزيرة[8]، كذلك كيف أخذت المدينة الإسلامية تزهو وتزدهر، وتزخر، وكيف وثب المسلمون من هناك إلى جنوب إيطاليا ينشرون المدنية ويؤسسون في مدينة "باري" بالجنوب الشرقي إمارة زاهرة.[9]

---

[1] – أحمد توفيق المدني، مذكرات حياة كفاح، ج2، المصدر السابق، ص 480– 481.

[2] – رابح لونيسي، المرجع السابق، ص 166.

[3] – فيروز برجوح، المرجع السابق، ص 43.

[4] – محمد محفوظ، المرجع السابق، ص 289.

[5] – فيروز برجوج، نعيمة مردف، المرجع السابق، ص 43.

[6] – أحمد توفيق المدني، المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا، د.ج، مكتبة الاستقامة للنشر والتوزيع، تونس، المطبعة العربية، الجزائر، د.س، ص 04.

[7] – أحمد توفيق المدني، المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا، المرجع السابق، ص من 09 إلى 208.

[8] – أحمد توفيق المدني، مذكرات حياة كفاح، ج 2، المصدر السابق، ص 481.

[9] – محمد محفوظ، المرجع السابق، ص 289.

بينما القسمين الثامن والتاسع[1] الأخيرين فلقد خصّصهما للحديث عمّا أنشأه وتركه المسلمون بتلك الجزيرة من عالم فذّ كـ"المازري" وأديب عملاق لجاني "حماديس، ثم ذكر ترجمة لثلاثين منهم مع ذكر مؤلّفاتهم وأشعارهم، كما بيّن كيف نشروا العلوم في مدينة "كاسينو" وكيف مثّلوا بها بذور عصر النهضة الأوروبية الكبرى[2]، وختم مترجمنا كتابه برثاء لابن حمديس إلياس عن صقليّة[3]، اعتمد فيه المدني على 29 مصدرا عربيا و19 مصدرا فرنسيا[4]، وجاء مزيّنا بأبهى الصّور عن سكان السهول والهضاب من الصقليين والعمران وخريطة للإدريسي لمناطق البحر الأبيض المتوسط ... الخ.[5]

فبصدور الكتاب أشار "المدني إلى أنه لقي ترحيبا وابتهاجا من شعوب المغرب العربي "تونس،الجزائر والمغرب الأقصى، كما نشرت عنه العديد من الصحف والمجلات وأولع المستشرقين الغربيين بنقده والتنويه عنه.[6]

ومن بين التقاريض ذات الأثر ما كتبه "البشير الإبراهيمي" في البصائر: "كتاب جلا فيه مؤلفه صحيفة من صحائف الفتح الإسلامي وسدّ به نقصا طالما شعر به الباحثون في تاريخ الإسلام كلما انتهى بهم البحث إلى تلك الحقبة من الزمن في تلك القطعة من الأرض فأعوزتهم الوثائق والمستندات... وعسى أن يكون كتاب الأستاذ "المدني" حافزا ألهم الباحثين حتى يصلوا ما انقطع من هذه المباحث".[7]
ولعلّ الأهمية التاريخية التي احتلّها الكتاب هي ما جعلت "محمد قنانش" ذاكرا في قوله: "إنّ هذا الكتاب تحفة نادرة، ودرّة نفيسة في جبين التاريخ الإسلامي، فهو معلمة تاريخية وأدبية في جزيرة صقلّية".[8]

في الحقيقة أنّ الكتاب حسبما ذكره "مولود عويمر" أنه كان بمثابة التاريخ الأندلسي الذي حاول عدد من المؤرخين الأسبان تعريفه مركّزين على تصويره دائما بفترات الصراع والحروب بينما أهملوا الجوانب الحضارية التي أبدع فيها المسلمون[9]، وما أشار إليه "محمد الصالح الصدّيق" على أنه أحيا فيه تاريخ صقلية في العهد الإسلامي منذ الفتح إلى الانهيار[10]، إلا أنهم لم يروا الجانب الآخر الذي لمّح إليه

---

[1] – أحمد توفيق المدني، المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب في إيطاليا، المصدر السابق، ص 209– 242.

[2] – أحمد توفيق المدني، مذكرات حياة كفاح، ج 2، المصدر السابق، ص 482.

[3] – ينظر: أحمد توفيق المدني، المسلمون في جزيرة صقلية و جنوب إيطاليا، ص 253– 254.

[4] – نفسه، ص 255– 256.

[5] – أحمد توفيق المدني، المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا، المصدر السابق، ص 113– 128.

[6] – أحمد توفيق المدني، مذكرات حياة كفاح، ج 2، المصدر السابق، ص 482– 483.

[7] – عبد القادر خليفي، أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر (1899– 1983م)، المرجع السابق، ص 114.

[8] – عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص 114.

[9] – مولود عويمر، المرجع السابق، ص 08.

[10] – محمد الصالح الصديق، المرجع السابق، ص 336.

"أحمد توفيق المدني" في كتابه بطريقة ذكية وغير مباشرة وهو ما لاحظه المؤرخ "أبو القاسم سعد الله" أنه حتى ولو لم يصرّح به مباشرة إلا أنه كان يغتنم الفرصة ويعبّر عن رأيه الخاص حول التاريخ الوطني حتى في الكتب التي تبدو بعيدة عن موضوع الجزائر بعناوينها، لأن "المدني" حسبه سطّر هدفه واضحا من قبل وهو التوجيه السياسي للشباب وبعث الوطنية التي يسميها الملية في نفوسهم والدّعوة إلى التّحرّر من الاستعمار الحديث بأدائه الاستعمار القديم الروماني، بل وأيضا إظهار شخصية بلاد المغرب المزيجة بين البربر والعرب بالإضافة إلى إبراز علاقاتهم بالمشرق قديما وحديثا.[1]

1-6- كتاب جغرافية القطر الجزائري: (1948) :

حاول "أحمد توفيق المدني" ربط التاريخ بالجغرافيا وهو ما يُعرف عن بروديل بجيو- تاريخ géo-histoire بمعنى أنّ التاريخ هو الإنسان والباقي، وأنّ كل شيء هو التاريخ أي الأرض، المناخ ... الخ[2]، وعليه جاء كتابه تحت عنوان جغرافية القطر الجزائري.

فهو تأليف متوسط الحجم به 168 صفحة، طبع بالجزائر سنة 1948م[3] بالعربية، وقد وضّح المؤلف في مقدّمة كتابه أنه يريد أن يبيّن للقارئ ما تزخر به بلاده من ثروات ومناظر غاية منه لإزالة الجهل الذي كان يقبع تفكيرهم نحو وطنهم الأم بسبب القانون الذي أصدرته السلطات الاستعمارية بمنع تدريس كل من التاريخ والجغرافيا والحساب، وذلك حتى لا يعرف أبناء الجزائر تاريخ وطنهم ولا جغرافيته سعيا منها لمنع نشر الثقافة العربية الإسلامية وتعميمها ولذلك جاء في قوله: "... لقد وهبك الله وطنا من خير ما وهب للأمم من أوطان: طيب في المناخ، وجمال في المنظر، وثروة في الأرض، وشرف في الأصل ومجد تالد وظريف"، ويضيف: "فلتكن أيها الشاب المسلم الجزائري بوطنك فخورا... فإنه لجدير بحبك، وإنه لفي حاجة إلى عملك وسعيك... أن تجعله نموذجا للرقي ومدنية وعظمة المسلمين"[4].

والكتاب يشتمل على ثلاثة أقسام[5]، خصّص القسم الأول "الجغرافيا الطبيعية"[6] للتّحدّث عن موقع القطر وحدوده ووصف تضاريسه ومناخه وما يزخر به من إمكانات طبيعية[7]، أما القسم الثاني "الجغرافيا

---

[1] – رابح لونيسي، المرجع السابق، ص 166- 167.

[2] – مولاي المصطفى البرجاوي، مصطلح التاريخ، 22/07/2020، 10:00 صباحا، https.alukh.net ، المرجع السابق .

[3] – عبد القادر خليفي، الكتابات التاريخية وبعث الوطنية الجزائرية في ظل الحقبة الكولونيالية، المرجع السابق، ص 15.

[4] – أحمد توفيق المدني، جغرافية القطر الجزائري، المصدر السابق، ص 17.

[5] – عبد القادر خليفي، الكتابات التاريخية وبعث الوطنية الجزائرية في ظل الحقبة الكولونيالية، المرجع السابق، ص 15.

[6] – أحمد توفيق المدني، جغرافية القطر الجزائري، المصدر السابق، ص 20- 74.

[7] – عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص 15.

الاقتصادية"[1]، فعالج فيه الناحية الاقتصادية مبرزا ثروات البلاد الفلاحية والحيوانية والمعدنية والطاقوية المتنوعة.. الخ.[2]

وانتقل المؤلّف في القسم الأخير "الجغرافيا السياسية"[3] لاستعراض الحالة السياسية، فقدّم إحصائيات لعدد السكان وأنواع الأنظمة القضائية وحالة التعليم العام والحر، ووصف التقسيم الإداري...الخ.[4]

وهكذا جاء الكتاب الأول من نوعه حسب ما جاء في تقديم المدني: "... فهذا أول كتاب جغرافي وضع عن القطر الجزائري المحبوب"[5]، ويذكر كل من المؤرخ "أبو القاسم سعد الله" و"خيثر عبد النور" أنه كان موجّها إلى طلبة المدارس التي تشرف عليها جمعية العلماء[6]، بل وأفاد به حتى خارج المدرسة العربية حسب ما أشار إليه الدكتور "بشير مديني".[7]

وفضلا عن ذلك يشير "عبد القادر خليفي" إلى أنّ "أحمد توفيق المدني" خاطب فيه الشباب ووجههم في نفس الوقت برسائل سياسية وطنية عميقة[8] على حب الوطن والافتخار به والاندفاع للأمام لتحقيق الرقي والحرية[9]، فقد جاء كدراسة مفصّلة الفرع من آخر فروع العلم والمعرفة استطاع عن طريقه الاتصال بأعماق ومشاعر سكان المغرب الأوسط منهم بالخصوص الجزائر[10]، وبذلك استطاع المؤلف أن يسدّ فراغا كبيرا في هذا الجانب.[11]

ونذكر بذلك ما كتبه "عبد الرحمان الجيلالي في تقريظه قائلا: "حاز به فضل السّبق، فيه دراسة مفصّلة لفرع آخر من فروع العلم والمعرفة وهو فرع حسّاس"[12]، ويضيف "بشير مديني": "أنه لولا المدني ما عرف

---

[1] – أحمد توفيق المدني، جغرافية القطر الجزائري، المصدر السابق، ص 78– 102.

[2] – عبد القادر خليفي، الكتابات التاريخية وبعث الوطنية الجزائرية في ظل الحقبة الوطنية، المرجع السابق، ص 15.

[3] – أحمد توفيق المدني، جغرافية القطر الجزائري، المصدر السابق، من ص 106 إلى 161.

[4] – عبد القادر خليفي، المرجع السابق ، ص 16.

[5]– عبد القادر خليفي، أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية في تونس والجزائر (1899– 1983م)، المرجع السابق ، ص 114.

[6]– ينظر: أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 420، وأيضا: خيثر عبد النور، منطلقات وأسس الحركة الوطنية الجزائرية (1530م– 1954م)، المرجع السابق ، ص 158.

[7]– اتحاد المؤرخين الجزائريين، المدرسة التاريخية الجزائرية، المرجع السابق، ص 140.

[8]– عبد القادر خليفي، أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية (1899– 1989م)، المرجع السابق، ص 114.

[9]– أحمد توفيق المدني، جغرافية القطر الجزائري، المصدر السابق، ص 17– 18.

[10]– اتحاد المؤرخين الجزائريين، المدرسة التاريخية الجزائرية، المرجع السابق، ص 140.

[11]– فيروز برجوج، نعيمة مردف، المرجع السبق، ص 44.

[12] – جمال عطابي، المرجع السابق، ص 323.

الزمان ولا عرفوا وضعية بلادهم جغرافيا ولا سياسيا ولا طبيعيا ولا اقتصاديا، فبفضل المدني عرف طلّاب المدارس وغيرهم كل ذلك، فكان لهم في هذا المضمار القدم السابقة والمزية الظاهرة".[1]

وتقديرا لهذا الإنجاز نظم الشاعر "أحمد سحنون" أبياتا شعرية بعنوان "توفيق أعطيت توفيقا وتسديدا"[2] قائلا:

"توفيق أعطيت توفيقا وتسديدا *** فاكتب وجدّد عهود الضاد تجديدا

منحت موهبة التاريخ فأحب به *** أمجاد قومك أحياءً وتخليدا...

لو كان للشعب بناؤون مثلكما *** لم يبق في قبضة الأعداء مصفودا"[3]

على العموم يبقى جغرافية القطر الجزائري الكتاب الذي لا يزال إلى يومنا هذا هو الجامع الوحيد عن بلاد الجزائر حسبما ذكره لنا الدكتور "أمين الشريف الزهار" حفيد "أحمد توفيق المدني"[4] وإعادة طبعه مرارا وتكرارا دلالة وتأكيدا على أهميته، ليس ذلك فقط بل استطاع حتما وبدون شك أن يوصل رسالته المتمثلة في توجيه وتنوير عقول الشعب الجزائري في سبيل تحريرهم من الجمود الفكري الذي تعمّد الاحتلال الفرنسي زرعه في نفوسهم، وعليه ذكر البروفيسور "مولود عويمر" قائلا: "رسالة المؤرّخ لا تتوقف على إنتاج المعرفة في مكتبه...أو على تدريسها لطلبته في مدرّجه، وإنما تكمن أيضا في نشرها بين الناس باعتبارها الوسيلة الناجعة لتنوير الإنسان وتحرير المجتمع من التّخلّف، والارتقاء به في سلّم التّقدّم والازدهار".[5]

1-7- كتاب حنبعل (1950م):

تعود علاقة المدني بالمسرح إلى المرحلة التي عاشها بتونس، فقد كانت له تجربة مسرحية هامة خاصة على رأس فرقة السّعادة، فخلال استقراره بالجزائر استطاع أن يعاين ركود الحالة الثقافية خاصة فن المسرح[6]. وهو العامل الأساسي الذي دفعه لإخراج رواية تحت عنوان "حنبعل"، التي عرضها "محي الدين باش تارزي" "رائد المسرح العربي بالقطر الجزائري"[7] بدار الأوبرا سنة 1948م[8].

---

[1] – اتحاد المؤرخين الجزائريين، المدرسة التاريخية الجزائرية، المرجع السابق ، ص 340.

[2] – فيروز برجوج، نعيمة مردف، المرجع السابق، ص 105.

[3] – شعر أحمد سحنون، ينظر: وثائق سلّمتها لنا عائلة أحمد توفيق المدني.

[4] – أمين الشريف الزهار، مقابلة شخصية.

[5] – مولود عويمر، حوارات في الفكر والتاريخ، د.د.ن، الجزائر، 2020م، د.ط، ص 22.

[6] – عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص 119.

[7] – أحمد توفيق المدني، مذكرات حياة كفاح، ج 2، المصدر السابق، ص 544.

[8] - Mohamed Islam Madani. Op cit. P 05.

وبعد ما حازت عليه من نجاح رأى مؤلفها أن يعمّ بها النفع فأخرجها على شكل كتاب[1]، ونشرتها المطبعة العربية الجزائرية[2] سنة 1950م[3]، وقد ذكرت جريدة الأسبوع أنها "طُبِعت طبعا متقنا على ورق صقيل وغلاف متين"[4]، بالإضافة إلى أسلوبه الأدبي الجميل المشبّع بالمحسّنات البديعية والصّور البيانية ونذكر بذلك قوله: "على يمينها وعلى يسارها ... تحوم حول الوطن كما يحوم النّسر الكاسر حول الفريسة ... لقد نسينا ربّنا ساعة الرّخاء والأمن، فنسينا الرّب ساعة الشّدة والبلاء والخطر ... تلاشت جنودكم وتفرّقت جموعكم... يصون أرواحنا وأموالنا".

لقد استهلّ "أحمد توفيق المدني" روايته بمغزى عميق[5] قائلا: "إلى الشباب المغربي حامل راية الكفاح في سبيل الأمة... أقدّم هذه الرواية التي تحيي...صفحة من جهاد أبطاله الأولين، وفيها عبرة وذكرى"[6]، وهو ما يظهر بأنه وجّهها وأهداها إلى شباب المغرب العربي كافة للتحريض على الجهاد والوحدة التي تضم كل من ليبيا وتونس والجزائر والمغرب الأقصى.[7]

فإذًا هي مسرحية تاريخية[8]، ذكر الدكتور أمين شريف الزهار "حفيد توفيق المدني" أنها تناولت قصة الثائر الذي كاد يقضي على روما المعروف بهانبال عند الغربيين[9]، كما لم يكن اختيار عنوان "حنبعل" من باب الصدفة، لأن البطل يرمز إلى الوحدة والتضحية في سبيل الوطن[10] كما يذكرنا بالاتجاه الحميد الذي سلكه المؤلف في تخصيص جهوده وأعماله التاريخية في ما له اتصال بالمغرب العربي.[11]

وفضلا عن ذلك، فإن الرواية تحمل في طيّاتها مغازي سامية ذكرتها جريدة الزهد بقولها: "فإلى القارئ نفثات من رواية حنبعل يتعلّم منها المغازي السامية التي تستقرّ في الأذهان بعد مطالعته في الكتاب".[12]

---

[1]- جريدة النهضة، ع 150، 25 جانفي 1951 (وثائق سلّمتها لنا العائلة).

[2]- جريدة الصباح، ع 08، 09 فيفري 1991م، (وثائق سلّمتها لنا العائلة).

[3]- عبد الكريم بوصفصاف، معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، المرجع السابق، ص 305.

[4]- جريدة الأسبوع، ع 342، 05 فيفري 1951م، (وثائق سلّمتها لنا العائلة).

[5]- أحمد توفيق المدني، حنبعل، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010م، د.ط، ص 17.

[6]- مجلة البصائر، ع 140، 05 فيفري 1951م، (وثائق سلّمتها لنا العائلة).

[7]- جريدة منبر الشعب، ع 431، 10 فيفري 1951م، (وثائق سلّمتها لنا العائلة).

[8]- محمود محفوظ، تراجم المؤلفين، المرجع السابق، ص 288.

[9]- أمين الشريف الزهار، مقابلة شخصية.

[10]- عبد القادر خليفي، المرجع السابق ، ص 120.

[11]- جريدة النهضة، (وثائق سلّمتها لنا العائلة).

[12]- جريدة الزهد، (وثائق سلمتها لنا العائلة).

فعقب صدوره لقي استحسانا ورواجا واسعا، كما تلقّى مؤلفه رسائل التهنئة والتقدير[1]، وفي نفس الوقت كتبت عنه مختلف الجرائد أمثال "جريدة النهضة"، "الأسبوع"، "الوزير"، المغرب"، "العرب"، "البيان"، "العلم"، الصباح"، "الصريح"، "التّقدّم"، "البصائر"، "الزهد" و"منبر الشعب" ومن بين التقاريض نذكر تقريض "عبد الرحمان الجيلالي": "هي الدّرة اللّمّاعة في تاريخ الفن المسرحي، وإنها بحق لتحفة فنية فريدة"[2]، بالإضافة إلى ذلك، ما ذكرته جريدة "البيان" بقولها: "... تتدفّق وطنيته وأعجبنا لحسن أسلوبها الذي قلّما نسج على منواله الكتّاب المسرحيون فكانت كلها دروسا قيّمة يشعّ من جملها وعباراتها الإخلاص للوطن، ونحن نحثّ قرّاء اللغة العربية على اقتناء هذه الرواية والارتواء من منابعها العذبة.. [3]."

ختاما، فالحقّ يُقال بأنّ رواية "حنبعل" جاءت لبعث الحماس وما يثير الحِمْية في العالم العربي[4] من خلال إحياء مرحلة عصيبة من مراحل تاريخنا للعبرة والذّكرى[5]، ثم توعية الشعب الجزائري بضرورة مواجهة الاستعمار ومقاومته[6]، فعلى الرغم من وقوف الرقابة الفرنسية بالمرصاد لكل جريء يدلي بمواقف حول قضيتي العدالة والحرية إلا أننا نجد "المدني" امتلك شجاعة أدبية كبيرة في التّصريح بآراء تهدّد وجود فرنسا ذاتها[7]، وأنّ كل هذا يزيد تأكيدا على أنّ مترجمنا الذي لا يعرف الكلل تجاه كل ما يمتّ للوطنية بِصِلة[8] استطاع أن يحيي صفحة ناصعة من صفحات المجد لهذا الوطن المغربي[9]، وبفضله تعرّف الشعب كافة على القيم العريقة والروح الوطنية[10] التي كان عليها أجدادهم في السّابق وهذا كلّه غرضا وهدفا منه في إيقاظ ذلك الشعور المكافح ضدّ الطّغاة المحتلّين، وعليه علّقت مجلة البصائر بقولها:

---

[1]- عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص 109.

[2]- رسالة عبد الرحمان الجيلالي، ينظر: وثائق سلّمتها لنا العائلة.

[3]- جريدة البيان، ع 74، 27 جانفي 1951م، (وثائق سلّمتها لنا العائلة).

[4]- جريدة النهضة، (وثائق سلّمتها لنا العائلة).

[5]- جريدة العلم، ع 1365، 23 جانفي 1951م، (وثائق سلّمتها لنا العائلة).

[6]- أحمد بن داود، دور المسرح الجزائري في المقاومة الثقافية للإستعمار الفرنسي 1926م-1954م، بوشيخي شيخ، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، تخصص تاريخ الجزائر الثقافي والتربوي، جامعة وهران، وهران، 2009م، ماستر، ص 43.

[7]- عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص 121.

[8]- جريدة البيان، ع 74، 27 جانفي 1951م، (وثائق سلّمتها لنا العائلة).

[9]- مجلة البصائر، ع 140، 05 فيفري 1951م (وثائق سلّمتها لنا العائلة).

[10]- وزارة المجاهدين، هجرة الجزائريين نحو أوروبا، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، د ج، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، د.ب، 2007م، ص 12.

"فتحقّق للمؤلف انه قد وفّق...في تحقيق هذا الإهداء، فإنّ هذه الرّواية... وإنها لعبرة بالغة وذكرى لمن أذكر، فيجدر بالشباب المغربي... أن يتقبّله قبولا... ليسير على ضوء مشعل تاريخ أسلافه لأبطال ".[1]

1-8- كتاب هذه هي الجزائر:

هو كتاب صغير الحجم ولكنه كثير الفائدة[2]، به 200 صفحة، نشره عام 1956م بعد وصوله إلى القاهرة[3]، عرّف من خلاله بتاريخ الجزائر[4] وثورتها المباركة[5]، وفي نفس الوقت كان لمساعدة الشعوب العربية وغيرها للتّعرّف أكثر بالجزائر[6] وتاريخها ونضالها الحقيقي[7] الذي شُوِّه من طرف الكتابات الاستعمارية.

أهداه مترجمنا "أحمد توفيق المدني" لشهداء الثورة التحريرية وذلك اعترافا منه بفضلهم وتخليدا لذكراهم[8]، وهو ما جاء في قوله: "إلى ضحايا معركة الحرية الحاسمة في قطر الجزائر النبيل إلى روح الشهداء، ودماء الأبرياء... إلى الذين ماتوا لتحيا مقدّساتهم..."[9].

أما عن غرض تأليفه للكتاب فهو واضح وجليّ في التمهيد، فلقد وجّهه[10] بقوله:" ...والعالم العربي على الأخص لا يعرف عن هذا الشعب ولا عن بلاده الشيء الكثير، تعمّد الاستعمار محق معالمه، وطمس تاريخه ومحو جنسيته وإعدام شخصيّته..."[11]، ليس ذلك فقط بل يرجو "المدني" أن يكون الكتاب "وسيلة تزداد بها روابط الأخوة والتضامن والكفاح بين العالم العربي الناهض وبين الشعب الجزائري المجاهد... تحت راية الحرية في نعيم الاستقلال".

---

[1]- مجلة البصائر، ع 140، 05 فيفري 1951م، (وثائق سلّمتها لنا العائلة).

[2]- محمد الصالح الصدّيق، شخصيات فكرية وأدبية، المرجع السابق، ص 337.

[3] - Mohamed Islam Madani, op cit, p 05.

[4]- أمال معوشي، المرجع السابق، ص 204.

[5]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 7، المرجع السابق ، ص 421.

[6] - soraya guemmouri, hommage A ahmed tewfik el maadani au forum de la mémoire:un grand témoin de l'histoire de l'algérie, 22/02/2020, 15:00 du soir,https://www.elmoujahid.com/fr/mobile/detail-article/id/83900.

[7] - Mohamed Islam Madani, opcit, p 05.

[8]- أمال معوشي، المرجع السابق، ص 204.

[9]- أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، دار البصائر للنشر، الجزائر، 2010م، د ط، ص 17.

[10]- صالح علواني، قراءة في كتاب هذه هي الجزائر للمناضل الجزائري والمؤرخ الثائر أحمد توفيق المدني، مجلة الموروث، ع 02، جامعة سوسة، تونس، 2013م، ص 58.

[11] - أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص 20.

تضمن القسم الأول التعريف بالبلاد الجزائرية[1] تحدّث فيه عن أصل تسمية الجزائر وساحلها وحدودها ومساحتها والتلّ والسّاحل والنجود والصّحراء... وتحدّث عن المناخ والتضاريس والموارد المائية.[2]

وخصص القسم الثاني للحديث عن سكان القطر الجزائري، وفيه أعطى مترجمنا إحصائيات للسكان المسلمين العرب والأمازيغ والفرنسيين واليهود[3]، التي بيّن من خلالها الفروقات التي عمدها الاحتلال.

أما القسم الثالث فنقل من خلاله إلى القارئ "ما يجب أن يعرف عن تاريخ الوطن الجزائري" أي من التواجد الفينيقي إلى الفتح العربي، بعدها الاحتلال الفرنسي، ثم استعرض لنا كل من مقاومة "أحمد باشا" و"الأمير عبد القادر"[4]... إلخ.

بينما القسم الرابع فقد عنونه بـ"تحطيم أمة"[5]، تكلّم فيه عن الحكومة والإدارة والمجالس ثم ذكر ما انجرّ عن الاحتلال الفرنسي من عمليات استيطان، ثم التنظيم الإداري الاستعماري من مجالس بلدية ومجالس عمالات... ثم انتقل للحديث عن النشاط الاقتصادي في الجزائر، بعدها تعرّض لذكر المأساة الاقتصادية التي تعرّض لها الجزائريون بسبب النظام الاستعماري...الخ.[6]

بينما القسم الخامس والسادس فخصّصهما "أحمد توفيق المدني" للتّحدّث عن المقاومة[7] الحربية التي خاضها الجزائريون ضدّ الاحتلال الفرنسي، ثم انتقل لذكر المقاومة السياسية في دورها الأول عبر العرائض السياسية والصحافة، ثم المقاومة السياسية في دورها الثاني بعد ظهور كل من حركة "الأمير خالد" وحزب نجم شمال إفريقيا وجمعية العلماء المسلمين وغيرها من القضايا.[8]

أما بخصوص الجانب التوثيقي والمنهجي للكتاب[9]، فيذكر كل من المؤرّخ "أبو القاسم سعد الله" و"أمال معوشي" بأنه كان بمثابة الدعاية السياسية والإعلامية للجزائر وثورتها آنذاك[10] إلا أنّ "أحمد توفيق

---

[1] - أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص 23- 34.

[2] - فارس كعوان، المرجع السابق، ص 367.

[3] - أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص 85- 123.

[4] - فارس كعوان، المرجع السابق، ص 367.

[5]- فارس كعوان، المرجع السابق، ص 367.

[6] - أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص 125- 154.

[7] - فارس كعوان، المرجع السابق، ص 367- 368.

[8] - صالح علواني، المرجع السابق، ص 63.

[9] - ينظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 7، المرجع السابق، ص 421. وأيضا: أمال معوشي، المرجع السابق، ص 204.

[10] - أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص 20.

المدني" يقول عكس ذلك بقوله: "أنا لم أكتبه للدّعاية وإنما كتبته تسجيلا للواقع وتعريفا علميا بهذا القطر وبهذا الشعب... فلا مبالغة ولا تهويل".[1]

وبذلك يكون كتاب هذه هي الجزائر حسب الدكتور "صالح علواني : ".. قدم إضافة نوعية في الحقل السيكروني لدراسة التاريخ من خلال الجزء الأخير منه والذي ركّز فيه على أحرج فترة في حياة الثورة (1954- 1956م).[2]

2- كتاباته بعد الاستقلال:

2-1- كتاب حرب ثلاثمائة سنة:

صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب حرب ثلاثمائة سنة" بين الجزائر وأسبانيا" سنة 1968م[3] بالجزائر[4]، ثم أعيد طبعه مرة أخرى سنة 1976م[5]، وكان باكورة تأليفه لأنه يعتبر كلوحة جدارية تاريخية منذ ثلاثة (03) قرون والتي تطلّبت وثائق كثيرة عثر عليها المؤلف بنفسه في "الإسكوريا ل" في مدريد[6]، وفي بكاكي بإسطنبول بعدما فتحت الحكومة التركية الأرشيف له.[7]

أما عن دوافع تأليف هذا الكتاب فقد وضّحها الكاتب في تمهيده بقوله: "... اخترت هذا الموضوع بالذات لأنه يتعلّق أولا بميلاد الدولة الجزائرية لأول مرة في تاريخينا...، ثم اخترته ثانيا لأن هذه الدولة الجزائرية الأولى قد برزت إلى الوجود وشبّت وشابت نتيجة لحملة صليبية استعمارية هوجاء، فكانت أرض الجزائر بعد أرض الأندلس هدف هذه الحملة وميدان عملياتها الدانية...، ثم إنني اخترته أخيرا لكنني أصحح حسب الجهد والطاقة والاقتناع الكثير من الأوضاع فيما يتعلّق بتدخّل الأتراك في هذه المعركة الحاسمة، وفيما يتعلّق بالدور العظيم والأساسي الذي قام به هذا الشعب العملاق...".[8]

---

[1] – فيروز برجوج، نعيمة مردف، المرجع السابق، ص 96.

[2] – صالح علواني، المرجع السابق، ص 61- 62- 63.

[3] – محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، المرجع السابق، ص 288.

[4] – أمال معوشي، المرجع السابق، ص 204.

[5] – محمد محفوظ، المرجع السابق، ص 288.

[6] - soraya guemmouri, hommage A ahmed tewfik el maadani au forum de la mémoire : un grand témoin de l'histoire de l'algérie, 22/02/2020, 15:00 du soir,https://www.elmoujahid.com/fr/mobile/detail-article/id/83900.

[7] - Mohamed Islam Madani, op cit. P 05.

[8] – أحمد توفيق المدني، حرب ثلاثمائة سنة بين الجزائر وأسبانيا "1492- 1792"، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م، ط 3، ص 5- 6-7.

وفضلا عن ذلك يتميّز هذا الكتاب بأسلوبه السّهل الذي يخلو من الكلمات التي تصعب قراءتها إضافة إلى توظيفه للألفاظ القرآنية نتيجة لتأثره بالحركة الإصلاحية.[1]

أما عن منهجه فيذكر "عبد القادر خليفي" أنه اعتمد على المنهج التقليدي في سرد الأخبار ومعرفة مسبّباتها ونتائجها، مراعيا في نفس الوقت ذلك التابع الزمني الذي سيشكّل في مفهوم هذا المنهج محورا ذهبيا تجري من حوله الأحداث.[2]

لقد اعتمد "أحمد توفيق المدني" في تحريره على جملة من الوثائق والكتب، على نحو ثماني(08) كتب عربية مخطوطة و17 كتابا مطبوعا بالعربية، ثم 47 كتابا باللغة الفرنسية[3] ،ويذكر المؤرّخ "أبو القاسم سعد الله أنه ما يعاب عليه من هذه الناحية هو أنّ هناك مراجع هامة تخصّ الفترة التي تناولها الكتاب غير مذكورة ضمن مراجعه أمثال: غزوات "عرّوج وخير الدين" و"الزهرة النّيّرة" و"رحلة محمد الكبير" و"التّحفة المرضية"، بالإضافة إلى أنّ المراجع لم تكن منظمة بطريقة مفيدة قائلا: "فقد جرت العادة أن تذكر المخطوطات مصحوبة باسم المكتبة أو المكان الذي توجد فيه وتاريخها ونحو ذلك مما يساعد الباحثين الآخرين، ولكن المؤلف لم يتّبع ذلك... قد استغنى تقريبا عن استعمال الهوامش".[4]

أما بالنسبة للمخطط الذي وضعه المؤلف لكتابه فقد قسّمه إلى 19 فصلا[5]، تناولت أسباب وصيغة العدوان الإسباني، وحالة هذا العدوان قبل ظهور العثمانيين ثم بعد ظهورهم، وردّ الفعل للعدوان قبل ظهور العثمانيين ثم بعد ظهورهم إضافة إلى رد الفعل للعدوان، وشخصية "خير الدين" ثم علاقة الإسبان ...إلخ، وكذلك يوجد تحت كل فصل عناوين فرعية نظمت بطريقة مدرسية تساعد القارئ المتسرّع على العثور على ما يريد.[6]

وهكذا، فمن عنوان الكتاب يظهر جليّا أنّ موضوعه عسكري–ديبلوماسي–سياسي[7]، دافع به عن الدولة العثمانية التي كان لها الفضل في الدّفاع عن الأرض الجزائرية وشعبها ضدّ الغزاة الأوروبيين خاصة

---

[1] – ينظر : فيروز برجوج، نعيمة مردف، المرجع السابق، ص 93، وأيضا: توفيق المدني، المصدر السابق، ص 147.

[2] – أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص 491– 492– 493.

[3] – أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، مج 1، دار الغرب الإسلامي للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1990، ط3، بيروت، 2005، ط 4، ص 349.

[4] – أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص 70– 484.

[5] – أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 348– 349.

[6] – أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 348.

[7] – مولود عويمر، المرجع السابق، ص 08.

الإسبان لفترة طويلة دامت ثلاث قرون[1]، إضافة لكشفه عن المطامع الإسبانية في الشمال الإفريقي[2]، وهو ما جعل الكتاب يعدّ من أكثر المؤلّفات العربية توسّعا في هذا الموضوع.[3]

باختصار، على الرغم من الهنّات التي وقع عنها "أحمد توفيق المدني" في كتابه هذا إلا أنّ المؤرخ "أبو القاسم سعد الله" "يؤكّد بأنه سيظل عمدة في ميدانه إلى وقت غير قصير فقد استعمل فيه المؤلف وثائق هامة، وبوّبه تبويبا سهلا، ووحّد فيه بين روح مؤرخ يبحث عن الحقيقة وروح سياسي وطني واثق من أنه وجد الحقيقة"، وعليه قال: "فجاء الكتاب قطعة عمل هامة يجد فيها الباحث المتخصّص آراء مضيئة ويجد فيها الطّالب والمثقّف العادي مادة تستثير الذّهن وتُلهِب العاطفة وترسم الاتجاه"[4].

1-2- كتاب مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار: (1967م)

طبع كتاب مذكرات الحاج "أحمد الشريف الزهار" سنة 1967[5] بالجزائر[6]، ثم أعيد طبعه مرة أخرى سنة 1974م[7]، وهو عبارة عن تحقيق لمذكرات نقيب أشراف الجزائر[8] لفترة ما بين سنة 1954م[9] إلى غاية وقوع الاحتلال[10] سنة 1830م[11] في حدود 196 صفحة.[12]

وتمثّل الغرض من تحقيقه للكتاب هو سعيه لإظهار الجانب الإيجابي للوجود العثماني بالجزائر عكس ما كان يروّج له الغربيون[13] في كتاباتهم، ولقد اعترف مترجمنا بنفسه أنّ النسخة كانت على وشك الضياع لو لم ينتزعها هو والشيخ "محمد الشريف الزهار" نقيب الأشراف الأخير من يد السيد "ميرانت" مدير الشؤون الأهلية بالولاية العامة بالجزائر آنذاك.[14]

---

[1] – محمد محفوظ، المرجع السابق، ص 288.

[2] – أمال معوشي، المرجع السابق، ص 205.

[3] – نفسه، ص 205.

[4] – أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 349- 350.

[5] – أمين الشريف الزهار، مقابلة شخصية.

[6] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 7، المرجع السابق، ص 419.

[7] – أمال معوشي، المرجع السابق، ص 205.

[8] – عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص 118.

[9] – محمد الصالح الصديق، شخصيات فكرية وأدبية، المرجع السابق، ص 337.

[10] – عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص 118.

[11] – محمد صالح الصديق، شخصيات فكرية وأدبية، المرجع السابق، ص 337.

[12] – عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص 118.

[13] – بلقاسم رابح، المرجع السابق، ص 50.

[14]– أمال معوشي، المرجع السابق، ص 205.

كما وضع مترجمنا دراسته بطريقة سهلة[1]، وقام بتقسيمه إلى إحدى عشر جزءً[2] خصّص القسم الأول منه للتّحدث عن "علي باشا بوصبع"، وخصّص القسم الثاني للحديث عن المجاهد "محمد باشا"، ففيه تعرّض إلى تولّيه الحكم وسيرته ومآثره العمرانية وغيرها.[3]

أما القسم الثالث إلى آخر قسم فنقل من خلاله إلينا عن ولايتي كل من "حسن باشا" و"مصطفى باشا"، وعن أهم الأحداث التي أعقبت أهم الولّاة العثمانيين[4]، بالإضافة إلى ذلك فقد دعم المؤلف الكتاب بستة صور متنوعة[5]، إضافة إلى إرفاقه بعدد كبير من التعليقات حول مختلف المواضيع.

ختاما، ما يمكن قوله هو أنّ "أحمد توفيق المدني" قام بمجهود كبير لتحقيقه هذا الكتاب لكونه مؤرّخ وطني أمين استطاع أن يحافظ على هذا المخطوط، وفي الأخير جعله في متناول أيدي الشعب الجزائري كافة، وبالرغم من أنّ الجزء الأول ضاع إلا أنه استطاع أن يشدّ ثغرة من تاريخ الجزائر أيام التواجد العثماني واعترافا بالدور الإيجابي الذي قام به "أحمد توفيق المدني" للحفاظ على التاريخ الجزائري، واعترافا بكفاحه يذكر "عبد الكريم العقون" في قوله: "كفاحك أحمد يطوي السنين** فسل عنه يا ليث** هذا العرين** لقد ذدت عنه العدي ثابتا أمام الأعادي والظالمين** وكافحت يا بطلا خالدا عن العرب تحمي حماهم أمين** فأمعنت في المجد تبغي الخلود كأجداد العرب الخالدين".[6]

1-3- كتاب مذكرات حياة كفاح:

من أهم ما كتبه في كتاباته التاريخية[7] بعد الاستقلال[8]، جاء في أربعة أجزاء، طُبِع منها ثلاثة سنوات 1976م- 1977م[9]، أما الجزء الثالث فكان سنة 1979م، إلا أنّ الظروف السياسية آنذاك استحال صدوره لذلك تأجل[10] إلى سنة 1982م[11]، وقد قامت بنشره الشركة الوطنية للجزائر[12]، فباعتباره

---

[1]- عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص 118.

[2]- بلقاسم برابح، الكتابات التاريخية عند الشيخ أحمد توفيق المدني، عبد القادر خليفي، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2018م ، ماستر، ص 50.

[3]- تح: أحمد توفيق المدني ، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980م، ط 2، من ص 15 إلى ص 51.

[4]- نفسه، من ص 51 إلى ص 176.

[5]- تح: أحمد توفيق المدني ، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر، المرجع السابق، ص 123- 126- 133- 135- 143- 161.

[6]- اتحاد المؤرخين الجزائريين، المدرسة التاريخية الجزائرية، المرجع السابق، ص 143.

[7]- اتحاد المؤرخين الجزائريين، المدرسة التاريخية الجزائرية، المرجع السابق، ص 148.

[8]- عبد الكريم بوصفصاف، تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، المرجع السابق، ص 251.

[9]- محمد صالح الصديق، المرجع السابق، ص 337.

[10]- فيروز برجوج، المرجع السابق، ص 47.

[11]- عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص 234.

[12]- محمد محفوظ، المرجع السابق، ص 288.

مصدرا في غاية الأهمية من تاريخ الجزائر ما بين 1905م-1962م[1]، وبصفحاته التي تجاوزت 1386 صفحة، يذكر "عمر بن قينة" بأنه يعطي صورة حية عن نضال رجال وعناد وصمود أمة، وغلبتها على مختلف الأعداء الخارجيين[2]، بينما فكرة وروح الكتاب فقد أشار إليها "المدني" في مقدمة الجزء الأول "إنّ القلب يملي، والقلم يسجّل، ولا أكاد أتدخّل بينهما... إذا فهذا الكتاب هو فيض الروح وهو صورة الوجدان، كما هو مرآة الحوادث الصادقة، تسجّل لك ما أمامها دون زيادة أو نقصان".[3]

وهكذا جاء الجزء الأول (1905- 1925م) يمثّل الفترة التي قضاها مترجمنا في تونس وحسب "حاج عبد القادر يخلف" فإنه يذكر بأنّ المدني صوّر لنا من خلال هذا الجزء "المجتمع التونسي لمطلع القرن العشرين ميلادي ومكابدته للاستعمار الفرنسي وتسلّط المستوطنين الأوروبيين، ولمّا بلغ الاحتقار أشدّه عليهم أبطال تونس ومنهم "عبد العزيز الثعالبي"، و"علي باشا حامبة"[4] وغيرهم، ليس ذلك فقط بل يحدّثنا "المدني" عن نفسه عن قيام الحرب العالمية الأولى، كيف حاول أن يكون طرفا في مؤامرة حيكت لضرب الاستعمار... فباءت المحاولة بالفشل... ووصل كفاحه خدمة لتونس إلى أن... طرده من تونس... [5]، وعليه اعترف "بشير التليلي": أسهمت مذكرات "المدني" ليس فقط في الإجابة عن عدّة علامات استفهام... تصحح لنا المذكرات المظاهر الرئيسية من الحياة الاجتماعية والأدبية والفنية لتونس فترة ما بعد الحرب الكبرى"، ويضيف: "وهذا القسم من التّأليف جدّ سخيّ أيضا بالمعلومات بالنسبة إلى المؤرّخ لأنه يطلعنا على عدّة مسائل إسلامية متوسطية في هذه الفترة، وعلى تأثيرها العميق على البلاد التونسية.[6]

بينما الجزء الثاني فقد خصص فيه "المدني" التحدّث عن كفاح الشعب الجزائري[7]، وهو يغطي مرحلة المدّ الوطني والنضال القومي بروحه الدينية، كما جسّد الفكر الإسلامي من 1925 إلى 1945م[8] ، وفي الجزء الثالث يذكر الدكتور "عمر بن قينة" أنه فيه: "تبدأ مرحلة جديدة في حياة الجزائر المسلمة العربية عندما قرّرت مخاطبة المحتل باللّغة التي لا يصغي إلاّ لها، لغة السلاح بعدما استنفذت الحركة الوطنية لغة

---

[1]- حاج عبد القادر يخلف، المؤرخ أحمد توفيق المدني ومذكرات حياة كفاح، المرجع السابق، ص 181.

[2] - عمر بن قينة، أحمد توفيق المدني المفكر والكاتب المنسي، 23 فيفري 2020، 10:00 صباحا، https://www.oulama.dz.org.

[3] - أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، مجلة الأصالة، ع 54- 55، الجزائر، فيفري- مارس 1978م، ص 90.

[4] - حاج عبد القادر يخلف، المرجع السابق، ص 182.

[5] - بشير التليلي، حول مذكرات حياة كفاح، تع: محمد بلقراد، مجلة الأصالة، ع 54- 55، الجزائر، فيفري- مارس 1978، ص 103.

[6] - بشير التليلي، حول مذكرات حياة كفاح، المرجع السابق، ص 105.

[7] - حاج عبد القادر يخلف، المرجع السابق، ص 183.

[8] - عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص 235.

السياسة"[1]، أي لتاريخ الثورة، وقد عنونه بـ: "ركب الثورة التحريرية"، ولقد عرض لنا مترجمنا فيه الموقف الجماعي لجمعية العلماء المسلمين من الثورة، كما يبرز دور مجلة البصائر في فضح خطط الاستعمار والتّصدّي لها وغيرها من الأحداث، وعليه يذكر "الحاج عبد القادر يخلف": فإنّ الجزأين الثاني والثالث يعتبران مصدرا في غاية الأهمية لجزائر ما بعد الحرب العالمية الأولى إلى نهاية الثورة التحريرية الكبرى... نظرا لما ورد في الجزأين من مشاهدات حيّة رآها صاحب التأليف".[2]

أما الجزء الرابع فيذكر "عبد القادر خليفي" أنّ نجل "أحمد توفيق المدني" "محمد إسلام" قد أكّد له قطعيا أنه لا يوجد جزء رابع وكل ما في الأمر أنّ والده أخذ في جمع المادة التوثيقية لكنه اشتغل بتحضير الردود على جملة الانتقادات وخاصة ما ورد في كتاب التّحريف والتّزييف لذلك جهّز كتابه "ردّ أديب"* على جملة الأكاذيب[3] الذي تصدّى به لهذه الحملة كتابيا مدافعا عن نفسه ودفاعا قويا بالحجج والبراهين دون الخروج عن آداب الحوار مستعينا بالصبر والحكمة.[4]

وفي سنة 1978م تعرض توفيق المدني لحملة هوجاء نقدية جارحة وجّهها بعض الباحثين وتلامذة جمعية العلماء المسلمين وفي مقدّمتهم: 'محمد الطاهر فضلاء"[5] خصوصا بعد صدور الجزء الثاني من مذكرات "حياة كفاح" ، ومن أخطر ما اتهم به من طرف "محمد الطاهر فضلاء" هو التعاون مع المخابرات الفرنسية وهذا كان من خلال طريقة تعبير[6] استفزازية جارحة بعيدة كل البعد عن النقد البنّاء.

وقد لامه بعض المعاصرين له وبعض المفكّرين أنه كان كثير التّمجيد لنفسه ولمواقفه وإبراز شخصيته أثناء وجوده في معترك الحياة السياسية مع جمعية العلماء المسلمين وجبهة التحرير الوطني، والواقع كما ذكر "حاج عبد القادر يخلف" "أنّ ذلك لا يعتبر نقيصة بقدر ما يعدّ من متطلّبات هذا اللّون من الكتابة التاريخية المعروفة بالمذكرات، فترى صاحب المذكرات يأخذ حيزا كبيرا في مؤلّفه هذا وحجما معتبرا من الصفحات بالنظر إلى الحديث عن دوره المحوري كرجل سياسي ومفكّر وكاتب وأديب وعلاقته بالأحداث

---

[1] – عمر بن قينة، أحمد توفيق المدني المفكر والكاتب المنسي، المرجع السابق.

[2] – حاج عبد القادر يخلف، المرجع السابق، ص 185– 186– 187.

[*] – [**] لقد ذكر لنا أمين الشريف الزهار حفيد المرحوم "أحمد توفيق المدني"، بأنه بعد تلك الانتقادات الهوجاء التي تعرّض لها المدني باشر في إعداد كتاب للرد على منتقديه من دون علمه بأن جدّه المرحوم "أحمد توفيق المدني" كان قد ألّف كتابا للردّ عن منتقديه تحت عنوان "رد أديب على حملة أكاذيب"، وهكذا توقف هذا الأخير عن إتمامه، كما وأضاف لنا أيضا أنّ كتابه "رد أديب على حملة أكاذيب" لم تستطع دار النشر نشره آنذاك لأسباب مجهولة، وهكذا أعيد الكتاب إلى أحمد توفيق المدني حتى سنة 2007م تم نشره[**]، ينظر: أمين الشريف الزهار، مقابلة شخصية.

[3] – عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص 234.

[4] – أمال معوشي، المرجع السابق، ص 205.

[5] – عبد الكريم بوصفصاف وآخرون، المرجع السابق، ص 304.

[6] – نفسه، ص 292.

سواء أكان ذلك من قريب أو من بعيد[1]، ويضيف "المدني" في قوله: "إنّ الفرق ... بين المذكرات وبين مختلف كتب التاريخ ظاهر وجليّ فالمذكرات لا تأخذ عن كتب التاريخ بل هي تصوّر الواقع لتقدّمه مادة خام لكتب التاريخ"[2] .

وبالعودة للتحدث عن الحملة الانتقادية، فيرى المؤرخ "أبو القاسم سعد الله" أنه هجوم ظالم[3] لأن العبارات التي استخدمها "الطّاهر فضلاء"[4] في كتابه "التحريف والتّزييف" في "حياة كفاح" على سبيل المثال: "الخائن المتلوّن"[5] وغيرها كانت في الحق ظلم بحدّ ذاته لأن العقل الموزون يسعى لتحقيق النقد البنّاء على أفكار الغير وليس التهجّم على أصحابها ببذيء العبارات كما قال الأستاذ "أحمد بن يغزر": "من صفات العقل المأزوم أنه لا يناقش الأفكار ولكنه يتهجم على أصحابها..."[6].

ليس ذلك فقط، بل كتب أيضا "محمد الصالح رمضان" أحد تلامذة الجمعية في قوله: "لو كانت مذكراته شخصية لم تتناول رجالنا وقضايانا القومية والوطنية كمذكرات "مالك بن نبي" مثلا لما انتقدناه"[7]، لكن باعتبار مترجمنا شاهد عيان على الأحداث السياسية ورجالاته وكذا الأحداث الثورية في الجزائر هو ما جعله يخوض في التعرّض لها والإدلاء عن مواقفه عنها بعيدا كل البعد عن ما تجمعه بهم من صداقة وأخوة سعيا منه لإظهار وجهة نظره وتصوراته الخاصة وهو ما جاء في قوله: "وواجب كاتب المذكرات ... هو أن يقف على الحوادث ومن الرجال ومن المجتمع، موقف الملاحظ، المسجّل النزيه، الذي لا يراعي في كتاباته صداقة ولا أخوّة ولا عاطفة ولا مصلحة، بل يجب ... أن يذكر الأوصاف كما شاهدها وكما اقتنعت نفسه بصحتها..." [8]، ويذكر المؤرخ "أبو القاسم سعد الله" قائلا: "بالرغم من قناعة المدني

---

[1] – حاج عبد القادر يخلف، المرجع السابق، ص 188.

[2] – أحمد توفيق المدني، مذكرات حياة كفاح، المصدر السابق، ص 91.

[3] – أبو القاسم سعد الله، رسالتان من أحمد توفيق المدني، مجلة المصادر، ع 19، د.ب، د..س، ص 251.

[4] – ** في مراسلة لنا مع "الدكتور أحمد مريوش" حول التأويلات التي جاءت في كتاب "التحريف والتزييف في حياة كفاح" لمحمد الطاهر فضلاء، ذكر لنا أنه أجرى شخصيا حوارا مطولا مع هذا الأخير حوله، وكذا أجابنا عن الجوانب التي جعلت رجال عصره ينتقدونه بقوله : المبالغة في الكتابة وتفضيل إسهاماته عن غيره من الرجال الذين عاصروا مذكراته، تهميشه لمن صنعوا الحدث واقحام نفسه في أحداث كان بعيدا عنها مثل تأسيس جمعية العلماء في الجزائر، تزويره لبعض الحقائق التاريخية كقوله الشيخ العقبي تخلى عن الجمعية ولم يكشف الأسباب في حين كان يعمل مع العقبي بعد تركه لمجلس إدارة الجمعية والعقبي ظل في حركة الإصلاح والتجديد ، تطاوله على العقبي وقال عنه من رافضي الثورة وهذا غير صحيح تاريخيا والرجل أجرت معه "جريدة لوموند الفرنسية وكشف بنفسه عن دعمه للثورة. ينظر : مراسلة مع أحمد مريوش، 11 جويلية 2020م. **

[5] – أحمد توفيق المدني، رد أديب على جملة أكاذيب، د.د.ن، د.ب، د.س، د.ط،(مخطوط)، ص 228.

[6] – https://www.facebook.com/benygzer.

[7] – عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص 238.

[8] – أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، المصدر السابق، ص 91.

بالانتماء العربي الإسلامي بالجزائر ... فقد كان هناك من ينظر إليه على أنه تونسي منفي في الجزائر و... كان عليه أن ينفذ ما يتفق عليه لا أن يبادر أو أن يفرض رأيه في الشأن الثقافي الجزائري"[1]، وهو ما يبرز لنا حقيقة تعرّضه لجملة من الانتقادات العنصرية في حقه، وهو ما يراه "الهادي الحسني": "الذي يعتقد أنّ سمة المبالغة التي وصف بها المترجم له من لدن البعض هي أمر طبيعي جدا، إذ إنّ مسألة الاعتزاز بالأنا مطروحة لدى كل الناس ولكن بدرجات متفاوتة مستشهدا بما قال الزعيم البريطاني "تشرشل" عندما سئل: هل تقرأ التاريخ؟ وكانت إجابته بالنفي حيث قال: لا أقرأ ذلك، بل أنا الذي يصنع التاريخ".[2]

وذهب المؤرخ الفرنسي "جلبارت ماينيي" G.Meynier للإثناء على "المدني" حتى وصل إلى مقارنته بـ: "لافيس"* Lavisse بقوله: "لقد شيّد أروقة صور تشبه كثيرا إبداعات "لافيس" ويضيف: كان صانع كتاب "الهوّية الثقافية" الذي صوّر لمدة طويلة مذهب الوطنية الرسمية"[3] بالإضافة إلى أنه من خلال مؤلَّفه هذا استطاع أن يجمع بين أقطار المغرب العربي وهو ما جاء في قول "عبد الكريم بوصفصاف": "لعلّ المؤرّخ الجزائري الذي جمع بين الذاتية الجزائرية والإقليمية المغاربية في كتاباته التاريخية هو الأستاذ "أحمد توفيق المدني"، وعليه يمكن اعتبار مترجمنا على حدّ قوله: "أنّ أحمد توفيق المدني ما يزال حتى الآن يتصدّر المرتبة الأولى في الانفتاح على تاريخ الآخرين بمدّه جسر وطيد بين نضال الشعبين الجزائري والتونسي إبان الحركة الوطنية المغاربية طول النصف الأول من القرن العشرين".[4]

فالواجب منا أن نرقا للنقد البنّاء تجاه شخصيات وطنية معروفة بنضالها ووفاءها للوطن على الرغم من السلبيات التي اتصفت بها لأنّ الإنسان بحد ذاته غير كامل وغير معصوم من الخطأ، وهو ما جاء في قول الدكتور بن يغزر : قال المؤرخ أبو القاسم سعد الله: "... فنحن بإجماع لا نكاد نعترف لأي بطل في تاريخنا سواء كان ملكا جبارا، أو محاربا مغوارا، أو شهيدا، أو عالما، إن تحطيم الأبطال والرموز ظاهرة غريبة تميز بها الإنسان الجزائري عبر تاريخه، ويكاد يكون فريدا بين الشعوب في ذلك"[5]، وعليه يتوجب علينا كافة أن نتخلص من هذه العادة السلبية المتمثلة في تحطيم الأبطال ورموز الوطن، وهو ما جاء في

---

[1] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 10، دار البصائر للنشر، د.ب، 2007م، د.ط، ص 91.

[2] – عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص 239.

[*] – [**]لافيس: هو المؤرخ المرجعي للجمهورية الفرنسية الثالثة والذي كتب تاريخا واسعا في فرنسا من 1900م– 1912[**]، ينظر: جيلالي صاري، المرجع السابق، ص 290.

[3] – نفسه، ص 290.

[4] – عبد الكريم بوصفصاف، تاريخ الجزائر المعاصر والحديث، المرجع السابق، ص 249– 251.

[5] - ناصر الدين سعيدوني، دراسات و شهادات مهداة إلى الأستاذ أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي للنشر، بيروت، 2000م، ط1، 32.

قول المؤرّخ "أبو القاسم سعد الله": "أمام ظواهر الخوف من التاريخ والتشرذم الثقافي وتحطيم الأبطال والرموز، أمام غياب المركزية الواعية الموجّهة وفقدان الحرية الفكرية... كيف نتصوّر أن يولد المؤرّخ ويمارس نشاطه وتجديده لتاريخ صعب؟ ... إنّ الأمة العظيمة هي التي تلد المؤرّخ العظيم وإنّ الأمة القزمة هي التي تلد المؤرّخ القزم، فلنسأل أنفسنا إذن هل نحن شعب قزم، ومن ثمة فإنّ ما عندنا من مؤرّخين قدماء ومحدثين ما هم إلا مجرّد أقزام؟ وماذا ننتظر من شعب يحطّم أبطاله بفأسه".[1]

و حسب رأينا في الأخير فإنّ "أحمد توفيق المدني" بريء من الانتقادات العنصرية التي تلقاها، فلقد شهد فيه أبرز القادة في تونس والجزائر كـ «الثعالبي" و"عبد الحميد ابن باديس" و"الإبراهيمي" وغيرهم، وهذا كافٍ لإثبات أنّ مترجمنا كان وفيّا لبلده يخدمه من دون كلل ولا ملل حتى بعد الاستقلال بسنوات نراه ثابتا شامخا في سبيل إذكاء الوعي الشعبي ضدّ الفرنكوفونية الاستعمارية.

1-4- كتاب أبطال المقاومة الجزائرية:

الكتاب عبارة عن رسائل مخطوطة باللّغة العربية، تحصّل عليها "المدني" من الأرشيف التركي واستزادها المركز الوطني للبحوث التاريخية، وهو يحتوي على 15 رسالة: حمدان عثمان خوجة للسيد محمد باستانبول، من أحمد باي قسنطينة في الصدر العظم، من أحمد باشا باي تونس لأحمد باي قسنطينة، من الأمير عبد القادر للسلطان عبد المجيد...الخ[2]، وجاء في 26 صفحة، وقد أورد المدني في مقدّمة كتابه عن أسباب التأليف فقال: "أما الرسائل التي يشرّفني ويسعدني أن أقدّمها الساعة لجمهرة الباحثين فهي مكتوبة أصلا باللّغة العربية، ولها ترجمة إلى اللغة التركية، وأنّ هذه الرسائل في مجموعها تضفي نورا جديدا على حقبة الجهاد الشريف بالنار والقلم ضدّ العدوان الفرنسي الآثم الدنيء".[3]

وهكذا فإنّ "المدني" عرض الكتاب بطريقة سهلة وأرفقه بتعاليق عليها –تلك الرسائل[4]– وما نلمحه في المدني أنه على الرغم من حصول الجزائر على استقلالها إلا أنه بقي على نفس هدفه المتمثّل في إحياء التاريخ الوطني وإذكاء الوعي الشعبي.

مؤرّخ أو أديب:

انقسم المفكّرون والمؤرّخون للقول عن "المدني" أنه لا يرتقي لأن يكون مؤرّخا لكونه مارس التاريخ والسياسة والأدب بدرجات متفاوتة[5] في كتاباته، ولكن سواء تعلّق الأمر بالصحافة والمسرح وغيره من

---

[1] – ناصر الدين سعيدوني، دراسات و شهادات مهداة إلى الأستاذ أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص34.

[2] – أحمد توفيق المدني، أبطال المقاومة الجزائرية، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص 21– 22.

[3] – نفسه، ص 18.

[4] – ينظر: نفسه، ص ص 84– 92.

[5] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 7، المرجع السابق، ص 421.

المواضيع إلا أنها كلّها كانت بحوثا مخصّصة لتاريخ الجزائر الحديث[1] بالإضافة إلى ذلك لا ننسى أنّ "أحمد توفيق المدني" كان سياسيا وليس ذلك فقط، بل يذكر "حاج عبد القادر يخلف" أنّ المدني كان يتمتّع بموهبة أدبية خلاقة وخيال واسع وقلم نفيس ناهيك عن إلمامه العميق بأصول الثقافة العربية الإسلامية، وهو ما جعل خصائص كتاباته أقرب إلى أسلوب العصر الإسلامي الوسيط، فلغته رفيعة المستوى وأسلوبه تطغى عليه مرجعيته الفكرية الصادرة عن تكوين ديني نستخلصه فيما كان يصفه أو يستدلّ به من حين لآخر على ما يسوق إلينا من أحداث ووقائع أو حتى تعريفه بالشخصيات، إنه الأسلوب القرآني الذي يأتي بتعبير قرآني ضمني للدّلالة على أمر معيّن، ويأتي الشعر في الدرجة الثانية، مما كان يستدلّ به كلّما دعت الضرورة لأنه هو نفسه كان شاعرا[2].

فلكونه زاوج بين الأدب والتاريخ في كتاباته التاريخية لا يخرجه من دائرة المؤرّخين لأن كثيرا منهم بدؤوا أدباء، وهو ما يوافقه قول المؤرّخ "أبو القاسم سعد الله": "إنّ كثيرا من المؤرّخين بدؤوا أدباء، لأن الأديب كفيل بشحن الفكر وصقل القلم وتوسيع دائرة المعرفة، أمّا التاريخ فيعمّق الفهم ويهدّئ الانفعال، فيصبح ما هو حقيقة عند الأديب أسطورة عند المؤرّخ، وما هو أثر تافه عند الأديب وثيقة ثمينة عند المؤرّخ".

في حين يشير "صالح علواني" إلى أنه: "إذا انطلقنا من تعريف "مارك بلوخ" للمؤرّخ والذي ذكر به "جاك لوغوف" عندما قدّم كتاب "دفاعا عن التاريخ" والذي يقول فيه: "ينبغي لنا إذن لكي نكتب التاريخ بصورة جيّدة ولكي نعلمه ونجعله جذّابا أن لا ننسى أنه إلى جانب ضروراته فإنّ له متعته الجمالية الخاصة، كما أنه بجانب الدقة الضرورية المرتبطة بالتّعمق والبحث في الآليات التاريخية، هناك أيضا لذّة لإدراك أشياء منفردة"، ويضيف: "وهكذا ليس أمامنا إلا أن نصنّف "المدني" ضمن فئة المؤرّخين حتى باعتماد المقاييس الحديثة، والنصيحة التي أبداها مارك بلوخ... فلنحذر أن ننزع عن العلم التاريخي جانبه الشّعري".[3]

أمّا بالتحدّث عن كتابات "المدني" أنها كانت مفعمة بالعاطفة، فذكر الدكتور "عبد الكريم بوصفصاف" في حوار له مع جريدة المراقب العراقي على أنّ التاريخ لا يمكن أن يكون مجرّدا من العاطفة مهما يكن، وحتى الذين مازالوا يتغذون على الفكر الفرنسي لا يستطيعون أن يتخلّصوا من مشاعرهم الوطنية نهائيا وعواطفهم الدينية والمذهبية والأسرية والقومية، والمؤرّخ الجزائري لا يمكن أن يقارن بالمؤرّخ الفرنسي لأنه لا يمكن أن يؤرّخ للجزائر بمصداقية بسبب ما تجمعه من علاقة استدمارية سابقة[4]، وحتى أنّ مؤرّخا كـ"أحمد توفيق المدني" فمن غير الموضوعية أن يتم انتقاده وفق شروط وقوانين أكاديمية الوقت الراهن إذا

---

[1] – جيلالي صاري، بروز النخبة المثقفة الجزائرية (1850– 1950م)، المرجع السابق، ص 290.

[2] – حاج عبد القادر يخلف، المؤرخ أحمد توفيق المدني ومذكراته "حياة كفاح"، المرجع السابق، ص 180.

[3] – صالح علواني، المرجع السابق، ص 56– 57.

[4] – جمال بوزيان، حوار مع المؤرخ الجزائري عبد الكريم بوصفصاف: "المؤرخ الوطني لا يزور التاريخ... التاريخ لا يمكنه أن يكون مجرّدا من العاطفة"، جريدة المراقب العراقي، ع 1836، 28 جانفي 2018م، ص 07.

كان موضوعيا أو ذاتيا، لأنه بالرجوع إلى الفترة التي كتب فيها كتاباته تجعل منه يُعدّ من المؤرّخين الكبار الذين دخلوا في غمار إحياء التاريخ الوطني الجزائري، وفي نفس الوقت إيقاظه لشعوب المغرب العربي ككل، ولا يستطيع الخوض فيها إلا الجريء، والحق يُقال بأنّ "المدني" حاول قدر المستطاع أن يكون عمله بعيدا عن الذاتية لأنه هو القائل: "ولولا الوقار العلمي الذي يجب أن يلازم هذا العرض حتى نهايته ولولا تعهّدي بأن يكون هذا الكتاب كتابا تصويريا تحقيقيا لحالة الشعب الجزائري والوطن الجزائري دون أن أسير مع التأثر الشخصي والانفعال النفسي... لكان هذا الكتاب مكتوبا بلغة أخرى، وربما احترقت صفحاته بمداد هو سمّ الزعاف"، وتحت أنفاسه هي اللّهب المتصاعد"[1] ، ويذكر الدكتور "عبد الكريم بوصفصاف" في قوله: "إنه يعدّ المؤرخ الجزائري الوحيد الذي فتح الحوار بين التاريخ الذاتي الوطني والتاريخ الإقليمي المغاربي والدولي على امتداد سبعين عاما، منذ أن ظهرت الكتابات التاريخية المعاصرة في الجزائر بأقلام وطنية".[2]

وفي الأخير يذكر "حاج عبد القادر يخلف": "إنّ مكانة أحمد توفيق المدني كنموذج لا ينكرها إلاّ مجحف، وما تلك المجموعة من الإصدارات التي أخرجها للوجود في عالم الكتابة التاريخية ما هي إلاّ دليل حيّ وقاطع على جلائل أعماله التي أضافت إلى المكتبة الوطنية والعربية عناوين جديدة تعرِّف بما كتبه الرّجل وتؤكّد سبقه في الميدان كأحد عمالقة الكتابة التاريخية في الجزائر المعاصرة".[3]

[1] – صالح علواني، المرجع السابق، ص 57.

[2] – عبد الكريم بوصفصاف، تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، المرجع السابق، ص 251.

[3] – حاج عبد القادر يخلف، المرجع السابق، ص 179.

خاتمة

في ختام هذا الجهد المتواضع الذي تناولنا فيه شخصية "أحمد توفيق المدني" وأهم كتاباته التاريخية والأدبية توصّلنا إلى أهم النتائج التالية:

1- كان لجامع الزيتونة والمدرسة الخلدونية مساهمة كبيرة في تحصين شخصية "أحمد توفيق المدني" العربية الإسلامية الثائرة ضدّ فعالية وتأثير الثقافة الغربية.

2- اعتماده على المنهج التقليدي وربطه بالشعور العاطفي لا يفقده بتاتا مصداقية ما تضمنته كتاباته من حقائق تاريخية.

3- منظوره المختلف والمغاير لمفهوم التاريخ، ما هو إلاّ نتاج تأثره بالمدرسة الخلدونية خاصة بالعلامة ابن خلدون.

4- احتكاك أحمد توفيق المدني بالشعب في كل من تونس والجزائر كوّن لديه فكرة أنّ الشعب هو المحرّك الأساسي لتحقيق الحرية والاستقلال.

5- أثرى المدني إلى جانب العديد من المؤرخين المكتبة الجزائرية والعربية بإنتاج ضخم والذي لا يزال مرجعا أساسيا للدّارسين والباحثين في مختلف الفترات التاريخية.

6- تناول "أحمد توفيق المدني" العديد من القضايا في مؤلفاته جعلته يركز ويحافظ على هدف واحد معيّن ألا وهو تعريف الشعب بتاريخه ونضاله الوطني عبر العصور.

7- يعدّ "المدني" من بين المؤرّخين الجزائريين الأوائل الذين دخلوا غمار إحياء التاريخ الوطني الجزائري وإيقاظ همم الجماهير.

8- حققت كتابات المدني التاريخية والأدبية استجابة كبيرة لدى الوعي الجماهيري المغاربي ما خلق لديهم اندفاع قويّ للالتفاف حول الثورة ضد الاستدمار الفرنسي.

9- شخصية كشخصية "أحمد توفيق المدني" عاشت مظلومة في كل من تونس والجزائر بسبب استغناء بعض الكتابات التحدّث عنه وإنصافه أمام التاريخ.

10- تُعدّ كتابات المدني تراثا تاريخيا الواجب على الأجيال الصاعدة الاهتمام به والتغني به، لأن مقاومته بالقلم لا تختلف كثيرا عن المقاومة بالسّلاح.

11- رحل المؤرّخ "المدني" وبقي إنتاجه الفكري شاهدا على عطائه ووفائه وحبّه للجزائر لذا فنحن كشعب ممنون لمجهودات أمثاله، فلنحافظ على وطننا ولنكن دائما في خدمته إلى آخر رمق كأحمد توفيق المدني.

وفي الأخير، على الرغم من سعينا للإلمام بحيثيات دراستنا التي تناولت "أحمد توفيق المدني مؤرّخا" إلاّ أنه تبقى بعض النّقاط التي تحتاج لبعض من البحث والمقارنة والتحليل حول ما تركه هذا المؤرّخ من تصنيفات ثرية الواجب على الباحثين البحث عنها وإخراجها لاحتوائها على الكثير من الأهداف النبيلة والحقائق التاريخية لإنصافه كشخصية وطنية أمام التاريخ.

الملاحق

الملحق رقم 01: صورة شخصية لأحمد توفيق المدني

المصدر : أرشيف العائلة.

الملحق رقم 02: تقرير الإبعاد الثاني للمدني من تونس.

L./.

ARRETE

Le Résident Général de la République Française, à Tunis, Officier de la Légion d'Honneur;

Vu l'article 82 de l'Edit Royal de juin 1778, déterminant les pouvoirs de police qu'exercent les Consuls Français en pays étrangers à l'égard de leurs nationaux ;

Vu notre arrêté du 6 juin 1925 prononçant l'expulsion du territoire tunisien de M. AHMED TEWFIK BEN M'AHMED EL MADANI, algérien, sujet français;

Arrête:

ARTICLE UNIQUE.- L'arrêté susvisé du 6 juin 1925, prononçant l'expulsion du territoire tunisien de M.AHMED TEWFIK ben M'AHMED EL MADANI, est rapporté./.

TUNIS, le 28 Novembre 1933.

Le Résident Général de la République Française,

SURETE PUBLIQUE

الابعاد الثاني من تونس
سنة 1933
بصفته هنى جزائري

المصدر : أرشيف العائلة.

الملحق رقم 02: تقرير الإبعاد الثالث و الأخير للمدني من تونس.

A RR E T E

L'AMBASSADEUR DE FRANCE
RESIDENT GENERAL DE LA REPUBLIQUE FRANCAISE EN TUNISIE

Vu l'article 82 de l'Edit Royal du mois de Juin 1778, déterminant les pouvoirs de Police qu'exercent les Consuls français en pays étrangers à l'égard de leurs nationaux,

Vu les renseignements recueillis sur le nommé AHMED TAOUFIK BEN MOHAMED EL MADANI, ressortissant français musulman d'Algérie, présumé né en 1902 à Tunis de M'Hamed et de Aicha Bent Amor domicilié 2, rue des muriers à Saint Eugène (Alger),

Sur la proposition du Directeur des Services de Sécurité,

ARRETE :

ARTICLE PREMIER.- Le territoire de la Régence est interdit au nommé AHMED TAOUFIK BEN MOHAMED EL MADANI qui en sera éloigné sans délai.

ARTICLE 2.- Le Directeur des Services de Sécurité est chargé de l'exécution du présent arrêté.

TUNIS, le 18 Février 1952

P.Le Résident Général
Le Ministre Plénipotentiaire Délégué
à la Résidence Générale
R.DE BOISSESON.

Pour Ampliation
TUNIS, le 25 Février 1952

Pr.le Directeur des Services
de Sécurité
Le Chef du Cabinet.
LAJEUNESSE

Pour copie certifié conforme

P.Le Commissaire Principal, Chargé du Service du Contrôle des Frontières et des Etrangers. ~~O.P.J.~~., Officier de Police Judiciaire, Auxiliaire de M.Le Procureur de la République.

TUNIS, le 7 DECEMBRE 1953

المصدر: أرشيف العائلة.

الملحق رقم 03: صورة تبين غلاف الرسالة التي احتوت على التقرير الذي أرسله أحمد توفيق المدني إلى الشيخ محمد البشير الإبراهيمي بالقاهرة.

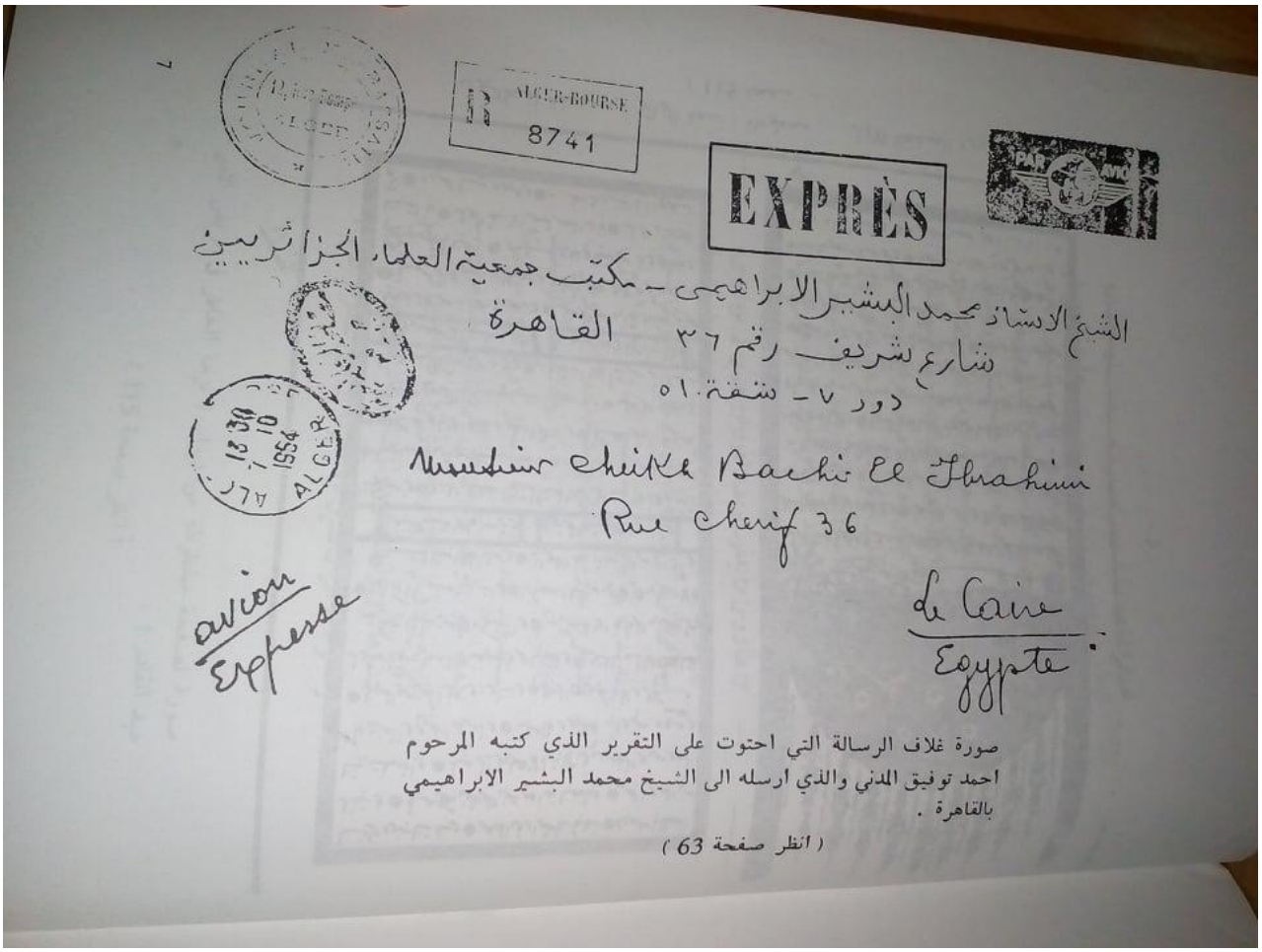

المصدر : أبو القاسم سعد الله، أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر المعاصر، المرجع السابق، ص63.

الملحق رقم 04: صورة لأحمد توفيق المدني يخطب في إذاعة صوت العرب بالقاهرة (مصر).

المصدر : أرشيف العائلة.

الملحق رقم 05: جدول يبين نشاطات المدني الخارجية ضمن الوفد السياسي لدعم الثورة الجزائرية في الدول العربية.

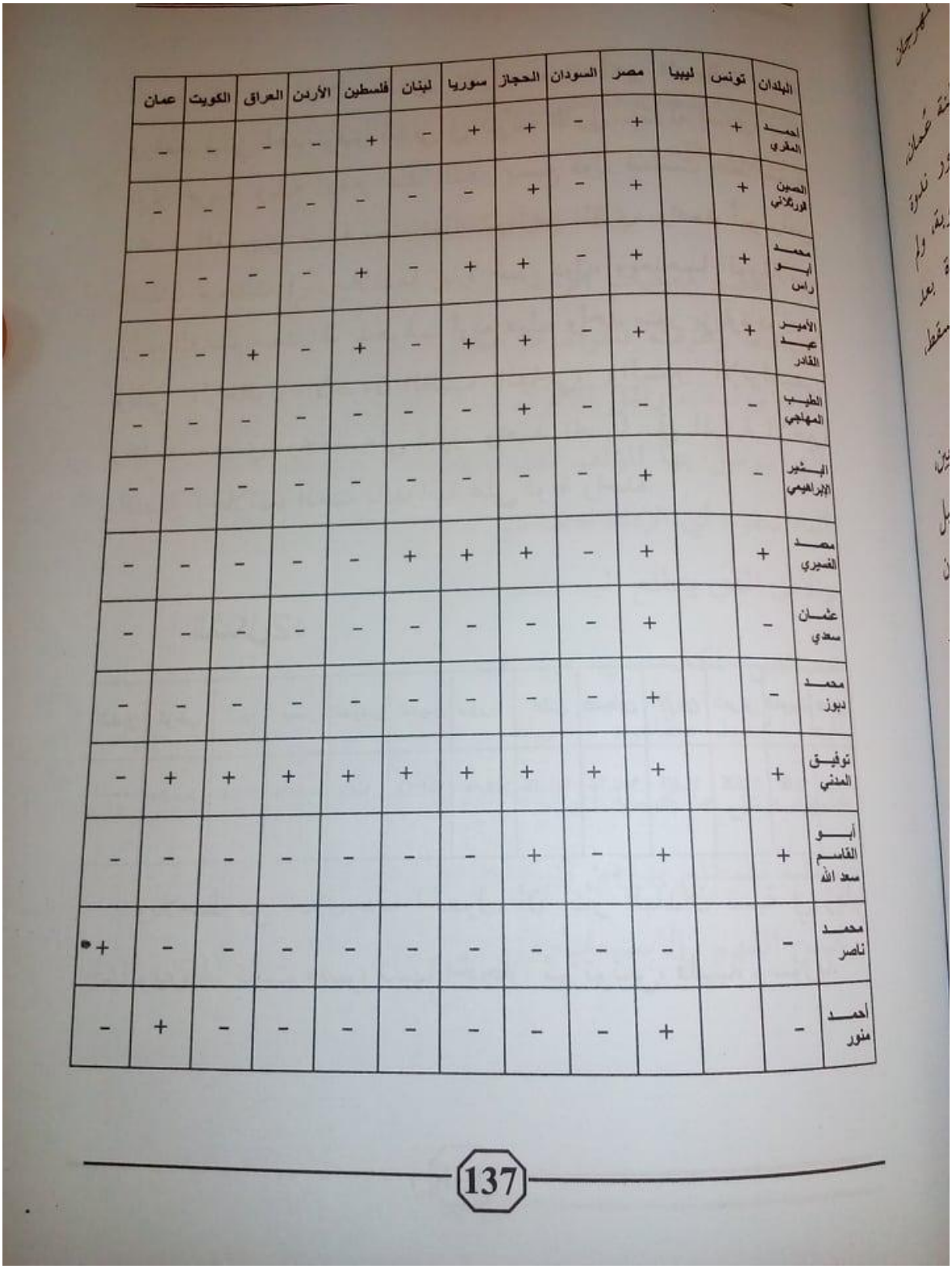

البلدان	تونس	ليبيا	مصر	السودان	الحجاز	سوريا	لبنان	فلسطين	الأردن	العراق	الكويت	عمان
أحمد المقري	+		+	-	+	+	-	+	-	-	-	-
الحسين لورلاني	+		+	-	+	-	-	-	-	-	-	-
محمد آل خليفة	+		+	-	+	+	-	+	-	-	-	-
الأمير عبد القادر	+		+	-	+	+	-	+	-	+	-	-
الطيب المهاجي	-		-	-	+	-	-	-	-	-	-	-
البشير الإبراهيمي	-		+	-	-	-	-	-	-	-	-	-
محمد العسيري	+		+	-	+	+	+	-	-	-	-	-
عثمان سعدي	-		+	-	-	-	-	-	-	-	-	-
محمد دبوز	-		+	-	-	-	-	-	-	-	-	-
توفيق المدني	+		+	+	+	+	+	+	+	+	+	-
أبو القاسم سعد الله	+		+	-	+	-	-	-	-	-	-	-
محمد ناصر	-		-	-	-	-	-	-	-	-	-	+
أحمد منور	-		+	-	-	-	-	-	-	-	+	-

المصدر : سميرة أنساعد، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري، المرجع السابق، ص137.

الملحق رقم 06 : صورتان تبينان نشاطات المدني الخارجية كوفد سياسي لجبهة التحرير الوطني في كل من أندونسيا و ماليزيا. (أندونيسيا على اليسار، ماليزيا على اليمين)

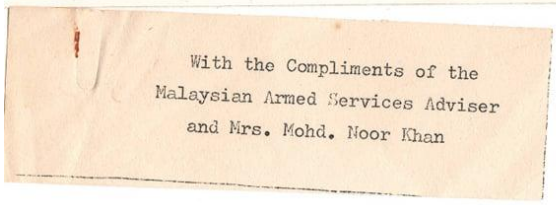

المصدر : أرشيف العائلة.

الملحق رقم 07 : صورة غلاف كتاب الجزائر يبين شعار الحركة الإصلاحية " الإسلام ديننا، الجزائر وطننا ، العربية لغتنا".

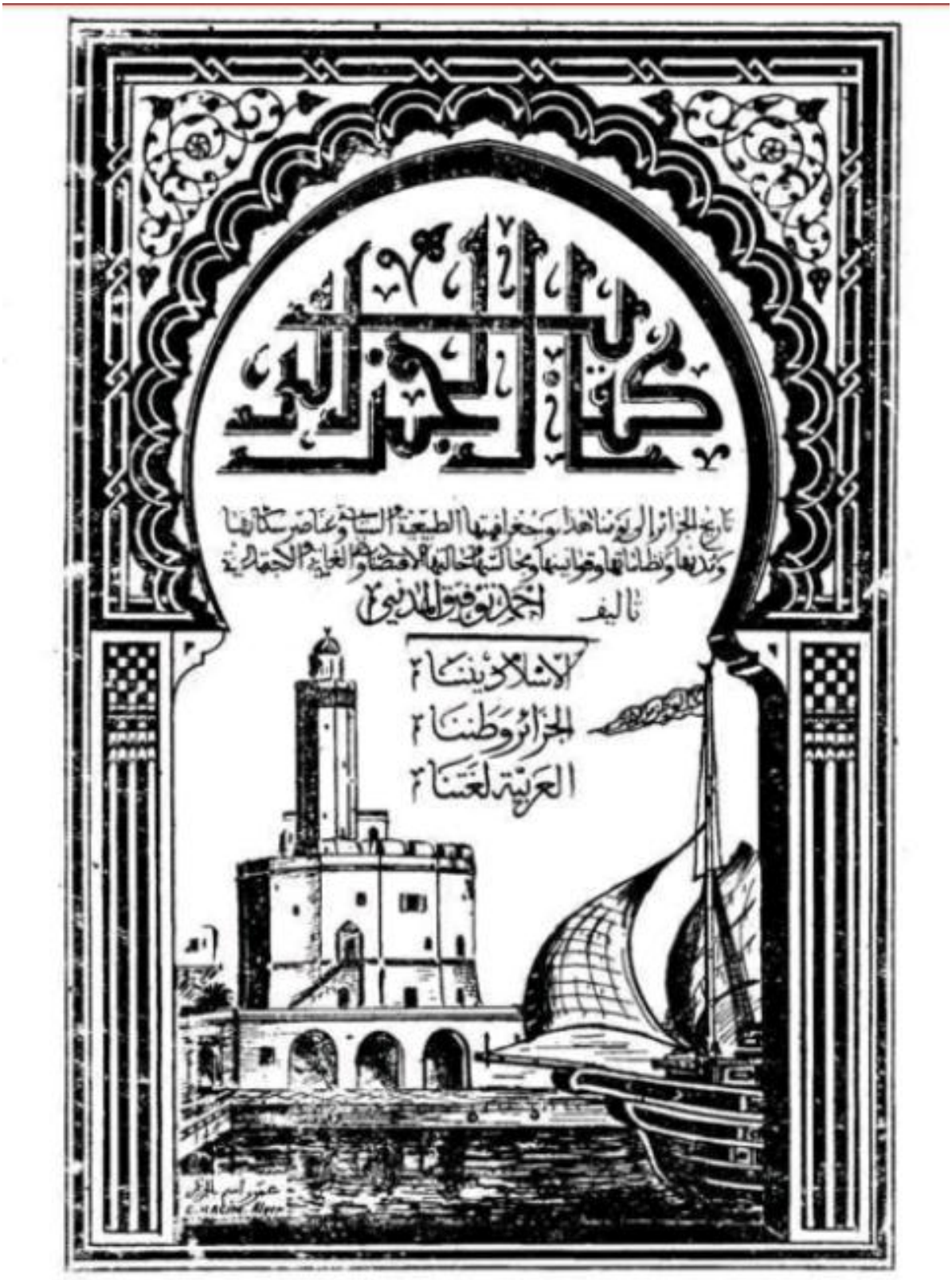

المصدر : كتاب الجزائر.

فهرس الأعلام و الأماكن

1)- فهرس الأعلام:

(أ):
* ابن خلدون: 14-38.
* ابن غشام (كريمة): 10.
* الإبراهيمي (محمد البشير): 14-27-31-34-74.
* الأمير (خالد): 38-39.
* الأمير (عبد القادر): 73.
* الأحمر (صالح): 20.
* أرسلان (شكيب): 23-29-54.
* الأبلق (رولا): 30.
* أليكس: 20.
* الإدريسي: 57.
* إيدير آيت عمران (محند): 49.
* ابن حماديس (إلياس): 57.
* إسماعيل (عمر): 27.
* إسلام (محمد): 70.

(ب):
* بويراز (عائشة): 9-10-11-16.
* بويراز (عمر): 10.
* بويراز (محمد): 11.
* بك (فتحي): 10.
* بن مصطفى (عبد الله): 12.
* بك (إسلام): 13.
* بن باديس (عبد الحميد): 14- 2-27-28-29-38-39-44-47-53-54-73.
* بوغدير (علي):17-19.
* بن عبد اللطيف (سعيد): 19.
* بوخريص (البشير): 20.
* بن يحي (صالح): 21.
* بن حمودة المنستيري (الطاهر): 21.
* باي (ناصر): 22.

* بن ونيش (محمود): 27.
* بن مرابط (محمد): 27.
* بوشمال (أحمد): 30.
* بومنجل: 30.
* بن خلاف: 30.
* بن بلة (أحمد): 33.
* بركات (أنيسة): 34.
* بروديل: 44-58.
* برتران (لوي): 47.
* بن تومرت (المهدي محمد): 50.
* بن عالي (عبد المؤمن): 50.
* بن العباس القباج (محمد): 50.
* باشا (محمد عثمان): 52- 53- 68.
* بارادي (غانتودي): 52.
* بيرك (جاك): 55.
* باشا (أحمد): 73.
* باشا (مصطفى): 68.
* باشا حامبة (علي): 69.
* بن نبي (مالك): 72.
* باي (أحمد): 73.
* بلوخ (مارك): 74.
* باشا تارزي (محي الدين): 60.
* بن يوسف (محمد): 17.
* بن الأكحل (محمد رضا): 26.
* بربروس: 52.
* بوصبع باشا (علي): 68.
* باشا حسن: 68.

(ت):

* التبسي (العربي): 30-31.
التليلي (محمد): 21.

(ث):

* الثعالبي (عبد العزيز): 12-21-22-69-73.

(ج):

* الجيلالي (عبد الرحمان): 49-59-62.
* جوليان (شارل أندري): 55.
* جلبارت (ماينيي): 72.
* الجزيري (حسين):13-19-47.
* الجمال (أمين): 26.

(ح):

* حسين حسني (عبد الوهاب): 17- 38.
* حماني (محمد): 28- 48.
* حنون: 48.
* حنبعل: 48-60-61-62.
* الحفصي (أبي عبد الله): 52.
* الحسني (الهادي): 72.
* حماديس: 57.
* حسن: 10.

(خ):

* خزندار: 21-25.
* خير الدين (محمد): 66.
* خروتشوف: 33.
* الخياط محي الدين: 13.
* خديجة: 10.
* الخطابي (عبد الكريم): 24-31.
* خوجة أنور: 32.

(د):

* دباغين (الأمين): 32.
* دردور (عمر): 30.
* دوباردیس (فونتان): 52.
* داي (حسين): 30.

(ر):

* الرزقي (صادق): 14-20,
* رمضان (محمد الصالح): 71.
* راجح (إبراهيم): 22.

* الرصافي: 15-18.
* راسم (عمر): 47.
(ز):
* زيفاكو (ميشال): 13-38.
(س):
* سكوت: 55.
* سحنون أحمد: 60.
* السلطان عبد المجيد: 73.
(ش):
* شكسبير: 13- 38.
* شايلي (راوول): 20.
* شيبان (سعيد): 49.
* الشريف الزهار أحمد: 67.
* الشريف الزهار محمد: 67.
* الشريف (نور الدين): 26.
(ص):
* صفر (محمد): 16- 19/ الساطور:29.
(ض):
* ضيف (جيلاني):54.
(ع):
* عبد الحميد الثاني: 15.
* العيد (محمد): 28-51.
* عروج: 66.
* عبد الناصر (جمال): 34.
* العقبي (الطيب): 29.
* العقون (عبد الكريم): 68.
* عثمان خوجة (حمدان): 73.
* عبان (رمضان): 32.
* العمري: 16.
* العاصيمي (محمد): 27.
* عبابسة (محمد): 27.
(ف):
* فضلاء (محمد الطاهر): 71.
فرحات (عباس): 26.

(ق):
* القليبي (محي الدين): 24.
(ك):
* كيوان: 30.
* كوش: 30.
* كباليرو: 30.
* كرد (محمد علي): 55.
* كاهية (علي): 21.
* كاهية (المختار): 10.
* عبد الله الكندري (فيصل): 41.
* الكبير (محمد): 66.
(م):
* المدني (محمد): 9.
* ميسيو (فورك): 20.
* الميلي (مبارك): 28-47.
* مزغنة: 29.
* المحبوب: 29.
* محمودي: 29.
* المنجي (سليم): 32.
* المقدم (الصادق): 32.
* موتسي تونغ: 32.
* ماكدوغال (جامس): 50.
* مؤنس (حسين): 55.
* ماسينيون: 55.
* مفدي (زكرياء): 55.
* ميرانت:67.
* محمد علي: 10.
* المنستيري (أحمد): 21.
* المرابط (محمد): 26.
* الموهوب (محمد): 26.
(ل):
* لوغوف (جاك):74.
* لافيس:72.

(ن):
* نامق (كمال): 13.
* النخلي (الشيخ): 17.
* نيفر (الصادق): 17.
(ي):
* اليعلاوي: 22.
(و):
* الورتلاني (الفضيل): 31.
* الورتلاني (أحمد): 15.
* ويلسون: 21.
(هـ):
* الهادي: 10-20-35.

2- فهرس الأماكن:

(أ):
* إيطاليا: 18-29.
* اسبانيا: 65.
* إيران: 34.
* إسطنبول: 40-65.
* ايرلندا: 45.
* الإنجليز: 45.
* أفغانستان: 50.
* الأندلس: 65.
* إندونيسيا: 32.
* الإسكور يال: 65.
(ب):
* باتنة: 30.
* باري: 56.
* باكستان: 32.
* بكاكي: 65.
* البكداشية: 52.
(ت):
* تونس: 9- 10- 14- 15- 16- 17- 18- 19-21- 22- 26- 25- 31- 32- 33- 34- 39- 45- 46- 48-57-69.
* تركيا: 40-46.

(ج):

* الجزائر: 10- 14- 18- 19- 24- 26- 27- 30- 33- 34- 35- 39- 40- 41- 42- 43- 44- 45- 48- 49- 50- 51- 52- 53- 54- 55- 56- 57- 58- 59- 60- 61- 63- 64- 65- 66- 67- 68- 69- 70- 72.

(ر):

* روما: 42.

(ز):

* الزلاج: 18- 15.

(ع):

* العراق: 34.
* العاصمة: 10- 26- 34.
* عنابة: 24.
* العالم العربي: 56- 62- 63.
* العالم الغربي: 17- 55.

(ف):

* فلسطين: 31.
* فرنسا: 44-45-52- 53- 63.

(ق):

* القاهرة: 32.
* قرطاجنة: 47-48- 49.
* قسنطينة: 25- 29- 73.
* قابس: 20.

(ك):

* كراشي: 32.
* كاسينو: 57.

(ل):

* ليبيا: 18- 29- 32 – 61.
* اللاهور: 22.

(م):

* المدينة المنورة: 9.
*مصر: 14-33 .
* ماليزيا: 32.
* موسكو: 32.
* المغرب الأقصى: 31- 48- 57- 61.
* مدريد: 65.

* المغرب العربي: 31- 47- 51- 53- 57- 61- 72- 75.

(س):

* سنغافورة: 32.

(ص):

* صقلية: 56-58.

* الصين الشعبية: 32.

(ط):

* طرابلس: 12- 15- 29.

(و):

* وهران: 52.

* الوطن العربي: 34- 53- 55.

* الوطن المغربي: 62.

(هـ):

* الهند: 22.

فهرس الصحف و المجلات

(أ) :
* الأمة: 22.
* الإتحاد: 22.
* إفريقيا: 22.
* الأسبوع: 61- 62.
* الإصلاح: 29.
* الأهرام: 55.
(ب):
* البصائر (الجزائر): 29-31-57.
* البصائر (تونس): 62.
* البحوث الإنسانية: 55.
* البيان: 62.
(ت):
* التقدم: 62.
(ز):
* الزهرة: 20.
* الزهد: 61- 62.
(ش):
* الشهاب: 25- 27- 28- 47- 48- 50- 51.
(ص):
* الصواب: 22.
* الصريح: 62.
* الصباح: 62.
(ع):
* العروة الوثقى: 11.
* العصر الجديد: 22.
* العرب (جريدة): 62.
* العلم: 62.
* العرب (مجلة): 24.
(ف):
* الفاروق: 13- 19.
* الفجر: 22- 45- 46.
* الفتح: 54.

(ق):
* القبس: 55.
(م):
* المؤيد: 11.
* المستقبل: 20.
* المنصور: 22.
* المنار: 29.
* المغرب: 62.
* منبر الشعب: 62.
* المراقب العراقي: 74.
* المجتمع العلمي العربي: 54.
* المنار: 29.
(ل):
* اللّواء: 11.
(ن):
* النهضة: 62.
* النجاح: 25.
(و):
* الوزير: 22- 24- 62.

فهرس الأحزاب و الجمعيات و المنظمات

(أ):
* الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري:29.
(ج):
* جبهة التحرير الوطني: 25- 29- 32- 33- 71.
* الجمعية الخيرية الإسلامية: 29- 34.
* جمعية الزكاة: 27.
* جمعية العلماء المسلمين: 28- 29- 30- 65- 70- 71- 72.
* الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية وإحترامها: 29- 30.
* جماعة الكفاح والشبان المسلمين: 32.
* الجمهورية العربية المتحدة: 33.
* جامعة الدول العربية: 33.
* جمعية الأمم المتحدة: 45.
* جمعية الفلاح: 27.
* جمعية الخلافة: 23.
(ح):
* الحزب الحر الدستوري: 21- 24- 28.
* الحكومة المؤقتة الجمهورية الجزائرية: 32- 33.
* حزب نجم شمال إفريقيا: 65.
* الحزب الشيوعي الجزائري: 29- 30.
* حركة الإنتصار للحريات الديمقراطية: 29.
* الحركة الإصلاحية الجزائرية: 54- 66.
(ر):
* الرابطة القلمية: 23.
(م):
* مجمع اللّغة العربية: 34.
* مؤتمر طلاب إفريقيا: 27.
* المجلس الوطني للثورة: 32.
(ل):
* لجنة الشبان: 17.
* اللّجنة التنفيذية: 22.
* اللّجنة التنفيذية الثانية: 22- 23- 26.
* لجنة الدفاع عن حقوق سوريا و فلسطين: 23.

(ن):
* نقابة عمّال تونسية: 23.
* نادي الترقي: 27.
(و):
* النواب الجزائريين المسلمين: 27.
* وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف: 33.
(هـ):
* الهلال الأحمر العثماني: 15- 18.

القائمة الببليوغرافية

القائمة البيبليوغرافية:

أولا: المصادر:

I- المصادر باللغة العربية :

أ- الصحف:

1- مجلة الفجر: (تونس)

- مجلة الفجر، عدد 11، جوان 1921م (أرشيف العائلة).

2- صحيفة الشّهاب: (الجزائر)

- جريدة الشهاب، عدد 51، 30 أوت 1926م.
- جريدة الشهاب، عدد 92، قسنطينة، 14 أفريل 1928م.
- جريدة الشهاب، عدد 115، 29 سبتمبر 1927م.
- جريدة الشهاب، عدد 121، 10 نوفمبر 1927م.

3- صحيفة الإصلاح: (الجزائر)

- جريدة الإصلاح، عدد 47، 01 ماي 1947م.

4- جريدة العلم: (تونس)

- جريدة العلم، عدد 1365، 23 جانفي 1951م (أرشيف العائلة).

5- جريدة النهضة: (تونس)

- جريدة النهضة، عدد150، 25 جانفي 1951م (أرشيف العائلة).

6- جريدة البيان: (تونس)

- جريدة البيان، عدد 74، 27 جانفي 1951م (أرشيف العائلة).

7- جريدة النهضة: (تونس)

- جريدة النهضة (أرشيف العائلة).

8- جريدة الأسبوع: (تونس)

- جريدة الأسبوع، عدد 342، 05 فيفري 1951م (أرشيف العائلة).

9- مجلة البصائر: (تونس)

- مجلة البصائر، عدد 140، 09 فيفري 1951م (أرشيف العائلة).

10- جريدة الزهد: (تونس)

- جريدة الزهد،(أرشيف العائلة).

11- جريدة منبر الشعب: (تونس)

جريدة منبر الشعب، عدد 431، 10 فيفري 1951م (أرشيف العائلة).

12- صحيفة البصائر: (الجزائر)

- جريدة البصائر، عدد 166، 01 أوت 1951م.
- جريدة البصائر، عدد 174، 15 أكتوبر 1951م.

13- جريدة الصباح: (تونس)

- جريدة الصباح، عدد 08، 09 فيفري 1991م (أرشيف العائلة).

14- مجلة الفتح:

- مجلة الفتح، عدد 289، 10 مارس 1992م (أرشيف العائلة).

ب- الرسائل و التقاريض:

- شعر أحمد سحنون (أرشيف العائلة).
- رسالة عبد الرحمان الجيلالي (أرشيف العائلة).
- شعر مفدي زكريا (أرشيف العائلة).

جـ- الكتب:

1. ابن العقون (عبد الرحمان إبراهيم)، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر، ج 9، منشورات السائحي، الجزائر، 2010م.
2. حماني (أحمد)، صراع بين السّنة والبدعة، ج 2، ط 1، دار البحث للطباعة والنشر، دون بلد، دون تاريخ.
3. خير الدين (محمد)، مذكرات، ج 1، مطبعة حلب للنشر، حسين داي، الجزائر، 1985م.
4. المدني (أحمد توفيق)، حياة كفاح (مذكرات)، ج 1، دار البصائر، الجزائر، 2009م.
5. المدني (أحمد توفيق)، حياة كفاح (مذكرات)، ج 2، دار البصائر، الجزائر، 2009م.
6. المدني (أحمد توفيق)، حياة كفاح (مذكرات)، ج 3، دار البصائر، الجزائر، 2009م.
7. المدني (أحمد توفيق)، الجزائر، المطبعة العربية للنشر والتوزيع، دون بلد، دون تاريخ.
8. المدني (أحمد توفيق)، "محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766- 1791م، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م.
9. المدني (أحمد توفيق)، المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا، المطبعة العربية للنشر، الجزائر، دون تاريخ.
10. المدني (أحمد توفيق)، جغرافية القطر الجزائري، دار البصائر للنشر، الجزائر، 2009م.
11. المدني (أحمد توفيق)، هذه هي الجزائر، دار البصائر للنشر، الجزائر، 2010م.

12. المدني (أحمد توفيق)، "حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492م- 1792م"، دار البصائر للنشر، الجزائر، 2009م.
13. المدني (أحمد توفيق)، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار 1754- 1830م"، ط 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980م.
14. المدني (أحمد توفيق)، ردّ أديب على حملة أكاذيب، مخطوط.
15. المدني (أحمد توفيق)، أبطال المقاومة الجزائرية، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م.

II- المصادر باللّغة الفرنسية :

1. El madani (Mohamed Islam), Présentation de cette collection d'ouvrage de Mohamed Toufik El Madani (أرشيف العائلة).
2. Cheniki (Ahmed), présence de Toufik el Madani, (أرشيف العائلة).

ثانيا: المراجع باللّغة العربية:

أ- المقابلات الشخصية:

1. أمين الشريف الزهار، مقابلة شخصية، جامعة سعد دحلب، البليدة، 4 مارس 2020م.
2. أحمد مريوش، مراسلة شخصية، 11 جويلية 2020م.
3. مولود عويمر، مراسلة شخصية، 27 مارس 2020م.

ب- الكتب:

1. أجيرون (شارل روبير)، ترجمة عباس سليمان وآخرون، تاريخ الجزائر المعاصر من انتفاضة 1871م إلى اندلاع الحرب التحريرية 1954م، مجلّد 2، دار الأمة للنشر، برج الكيفان، الجزائر، 2008م.
2. أبو زكرياء (يحي)، الحركة الإسلامية في تونس من الثعالبي إلى الغنوشي، دون بلد، 2003م.
3. أنساعد (سميرة)، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري، دار الهدى للنشر، عين مليلة، الجزائر، 2009م.
4. - أزغيدي (محمد لحسن)، مؤتمر الصومام وتطور ثورة التحرير الوطني الجزائرية (1956- 1962م)، دار هومة للنشر، 2009م
5. اتّحاد المؤرّخين الجزائريين، المدرسة التاريخية الجزائرية، ط 1، وسام نبراس للإعلام والنشر والإشهار، الجزائر، 1998م.
6. بوصفصاف (عبد الكريم)، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأولى، ط 2، دار مداد للنشر، قسنطينة، 1996م.
7. بوصفصاف (عبد الكريم)، تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر، ج2، دار الحمدي للنشر، عين مليلة، الجزائر، 2013م.
8. بوضرساية (بوعزة)، رواد المدرسة التاريخية الجزائرية، دار الحكمة للنشر والتوزيع، 2007م.

9. بوطيبي (محمد)، دور المهاجرين الجزائريين في الحركة الوطنية التونسية ما بين 1900م-1930م، دار الهدى للنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2010م.
10. بوحوش (عمار)، التاريخ السياسي الجزائري من البداية إلى غاية 1962م، ط 1، دار الغرب الإسلامي للنشر، بيروت، 1997م.
11. بوتفليقة (عبد العزيز)، النصوص الأساسية لثورة نوفمبر 1954م، وزارة المجاهدين، دون بلد، دون تاريخ.
12. بن قينة (عمر)، اتجاهات الرّحالين الجزائريين في الرحلة العربية الحديثة، ديوان المطبوعات الجزائرية للنشر، دون بلد، 1995م.
13. بن قينة (عمر)، أعلام وأعمال في الفكر والثقافة والأدب، منشورات اتحاد الكُتّاب العرب، دمشق، 2000م.
14. الجابري (محمد صالح)، النشاط العلمي و الفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900م-1962م، دار الحكمة للنشر والترجمة، الجزائر، 2007م.
15. الحواس (الوناس)، نادي التّرقّي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية، دار هومة للنشر، الجزائر، دون تاريخ.
16. حسني (عبد الوهاب حسن)، خلاصة تاريخ تونس، ط1، دار الكتب العربية الشرقية للنشر والتوزيع، تونس، 1953م.
17. حقي (إحسان)، الجزائر العربية أرض الكفاح المجيد، منشورات المكتبة التجاري للطباعة و النشر، ط1، بيروت، تونس، 1961م.
18. خليفي (عبد القادر)، أحمد توفيق المدني النضال السياسي والإسهام الفكري في الساحتين الجزائرية والتونسية (1899- 1983م)، دار المخابر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2003م.
19. خيثر (عبد النور وآخرون)، منطلقات وأسس الحركة الوطنية الجزائرية 1830م- 1954م، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية، دون بلد، دون تاريخ.
20. الذويب (جمال هاشم وآخرون)، الموجز في التاريخ العربي، منشورات الجامعة المفتوحة، طرابلس، ليبيا، 1994م.
21. سعد الله (أبو القاسم)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 7، الدار البيضاء للنشر،، حسين داي، الجزائر، 2007م.
22. سعد الله (أبو القاسم)، تاريخ الجزائر الثقافي، جزء 10، دار البصائر للنشر، دون بلد، 2007م.
23. سعد الله (أبو القاسم)، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، جزء 4، ط 2، دار الغرب الإسلامي للنشر، بيروت، 2005م.

24. سعد الله (أبو القاسم)، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، مجلد 2، دار الغرب الإسلامي للنشر والتوزيع، ط1، بيروت، لبنان، 1990م، ط 2، بيروت، 2005م، ط3.
25. سعد الله (أبو القاسم)، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، مجلد 1، داار الغرب الإسلامي للنشر و التوزيع، ط3، بيروت، لبنان، 1990م، ط4، بيروت، 2005م.
26. سعيدوني (بشير)، الثورة الجزائرية في الخطاب العربي الرسمي، ج 1، دار مداني للنشر، قرواوة، 2013م.
27. سعيدوني (ناصر الدين)، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الفترة الحديثة والمعاصرة، جزء 2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988م.
28. سعيدوني (ناصر الدين)، دراسات و شهادات مهداة إلى الأستاذ أبو القاسم سعد الله، ط1، دار الغرب الإسلامي للنشر، بيروت، 2000م.
29. شترة (خير الدين)، إسهامات النخبة الجزائرية في الحياة السياسية والفكرية التونسية 1900م-1939م، ط 2، دار كردادة للنشر، بوسعادة، الجزائر، 2013م.
30. شترة (خير الدين)، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة (1900م- 1956م)، جزء 2، ط 2، دار كردادة للنشر، بوسعادة، الجزائر، 2013.
31. صاري (الجيلالي)، ردود النخبة المثقفة الجزائرية (1850م- 1950م)، دون بلد، دون تاريخ.
32. الصديق (محمد الصالح)، شخصيات فكرية وأدبية، ط 1، شركة دار الأمة، برج الكيفان، الجزائر، 2002م.
33. طاهر (عبد الله)، الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية قومية جديدة، دار المعارف للطباعة، سوسة، تونس، بدون تاريخ.
34. الطمار (محمد بن هرو)، تاريخ الأدب الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2005م.
35. عبد الهادي (جمال)، مسعود محمد وآخرون، المجتمع الإسلامي المعاصر وإفريقيا، دار الوفاء للنشر والتوزيع، دون بلد، دون تاريخ.
36. العسلي (بسام)، عبد الحميد بن باديس وبناء قاعدة الثورة، دون دار النشر، دون بلد، دون تاريخ.
37. العقاد (صلاح)، الجزائر المعاصرة، مكتبة الإسكندرية للنشر، عين مليلة، الجزائر، 2016م.
38. عويمر (ميلود)، التواصل الفكري بين النخبة الإصلاحية في المغرب الكبير، دار الهدى للنشر، عين مليلة، الجزائر، 2016م.
39. عويمر (ميلود)، حوارات الفكر والتاريخ، دون دار النشر، الجزائر، 2020م.
40. عمامرة (تركي رابح)، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية (1931م- 1956م)، دون دار النشر، الجزائر، 2004م.

41. القصاب (أحمد)، ترجمة حمادي الساحلي، تاريخ تونس المعاصر 1881م- 1956م، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1986م.
42. قناش (محمد)، ذكرياتي مع مشاهير كفاح، دار القصبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2005م.
43. لونيسي (رابح)، دراسات حول إيديولوجية تاريخ الثورة الجزائرية، ط 2، دار كوكب العلوم للنشر، الجزائر، 2012م.
44. محفوظ (محمد)، تراجم المؤلفين التونسيين، جزء 4، ط 1، دار الغرب الإسلامي للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1985م.
45. الزبيري (محمد العربي)، كتاب مرجعي عن الثورة التحريرية 1954م-1962م، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، دون بلد، دون تاريخ.
46. مراد (علي)، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، طبعة خاصة، دار الحكمة للنشر، برج الكيفان، الجزائر، 2007م.
47. مريوش (أحمد)، الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية، دار هومة للنشر، الجزائر، دون تاريخ.
48. مناصرية (يوسف)، دور النخبة الجزائرية في الحركة الوطنية التونسية بين الحربين العالميتين، دار هومة للنشر والتوزيع، دون بلد، دون تاريخ.
49. المظلفي عارف أحمد (إسماعيل)، المستخلص في النقد التاريخي، ط 1، دار النشر للجامعات، صنعاء، 2014م.
50. سعيدوني (ناصر الدين)، ط1، دراسات و شهادات مهداة إلى الأستاذ أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي للنشر، بيروت، 2000م.
51. ياغي (إسماعيل)، تاريخ العالم العربي المعاصر، ط1، مكتبة العبركان للنشر والتوزيع، الرياض، 2000م.
52. وزارة المجاهدين، هجرة الجزائريين نحو أوروبا، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، دون بلد، 2007م.

ج- الرسائل الجامعية:

1- بالعربية:

1. باجلول (عائشة)، طلباوي سعيدة، خصائص المقال عند أحمد توفيق المدني، ماستر، المغيلي خدير، جامعة أحمد درارية، كلية الآداب واللغات، دراسات جزائرية، أدرار، 2016م.

2. برجوح (فيروز)، مردف نعيمة، الكتابة التاريخية عند أحمد توفيق المدني (1914–1983م)، ماستر، عثمان رجب، كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية، تخصص تاريخ المغرب الحديث و المعاصر، جامعة الشهيد حمة لخضر، الوادي، 2018م.
3. برابح (بلقاسم)، الكتابات التاريخية عند الشيخ أحمد توفيق المدني، ماستر، عبد القادر خليفي، كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2018م.
4. بكاري (عبد القادر)، "منهج الكتابات التاريخية عند المؤرخين الجزائريين في العهد العثماني 1519–1830م، دكتوراه، محمد فغرور، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، تخصص: التاريخ الحديث، جامعة وهران، 2016م.
5. بن داود (أحمد)، دور المسرح في المقاومة الثقافية للإستعمار الفرنسي (1926م–1954م)، ماستر، بوشيخي شيخ، كلية العلوم الإنسانية و الحضارة الإسلامية، تخصص تاريخ الجزائر الثقافي و التربوي، جامعة وهران، وهران، 2009م.
6. تينة (سمية)، أحمد توفيق المدني ودوره الثقافي والسياسي في الجزائر (1925م– 1962م)، ماستر، أمير بوغدادة، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، شعبة التاريخ، تخصص تاريخ معاصر، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2016.
7. خرقاق (نجية)، إسهامات أحمد توفيق المدني بعد الاستقلال (1962م– 1983م)، ماستر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية تاريخ معاصر، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2018م.
8. عبد القادر خليفي، أحمد توفيق المدني و دوره في الحياة السياسية و الثقافية بتونس و الجزائر 1899م– 1983م، ماجستير، عبد الكريم بوصفصاف، كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية، قسم التاريخ و الآثار، تخصص التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة منتوري قسنطينة، قسنطينة، 2007م.
9. فدفاد (وسيلة)، الكتابة التاريخية في الجزائر ودورها في الحركة الوطنية (1900م– 1954م)، ماستر، أبو بكر الصديق حميدي، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، تخصص تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، جامعة المسيلة، 2014م.
10. كعوان (فارس)، المؤرخون الجزائريون ونمو الوعي التاريخي (1839م– 1996م)، مساهمة في التاريخ الثقافي والفكري، دكتوراه، قسم التاريخ والآثار تاريخ معاصر، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007م.

2- بالفرنسية:

1. Boukechour (Mohamed Salah), L'écriture de l'histoire de l'Algérie période coloniale (1830- 1962) sources sociales, université Hassiba Ben Bouali de chlef, 2016.

ت- الجرائد والمجلات:

1- الجرائد:

- بوزيان (جمال)، حوار مع المؤرخ الجزائري عبد الكريم بوصفصاف "المؤرخ الوطني لا يزوِّر التاريخ، التاريخ لا يمكن أن يكون مجردا من العاطفة"، جريدة المراقب العراقي، ع 1836، دون بلد، 28 جانفي 2018م.

2- المجلات:

1. بوطيبي (محمد)، "دور المهاجرين الجزائريين في الحركة الوطنية التونسية في مطلع القرن العشرين أحمد توفيق المدني أنموذجا"، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة المسيلة، 3 ديسمبر 2013م.
2. بلبروت (بن عتو)، "الداي محمد بن عثمان باشا وسياسته" 1766- 1791، مجلة عصور، ع 6، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة بلعباس، جوان- ديسمبر، 2005.
3. التليلي (بشير)، حول مذكرات حياة كفاح، تعريب محمد بلقراد، مجلة الأصالة، عدد 54-55، الجزائر، فيفري- مارس 1978م.
4. خليفي (عبد القادر)، التاريخ في اهتمامات نخب الحركة الوطنية الجزائرية في مضامين كتاب الجزائر لأحمد توفيق المدني"، مجلة البحوث التاريخية، جامعة محمد بوضياف، ع 5، المسيلة، الجزائر، سبتمبر 2018م.
5. خليفي (عبد القادر)، الكتابات التاريخية و بعث الوطنية الجزائرية في ظل الحقبة الكولونيالية"، دراسة نماذج منذ إسهامات أحمد توفيق المدني خلال الفترة 1931- 1950م"، مجلة أبحاث ودراسات، دون عدد، جامعة زيان عاشور، الجلفة، دون تاريخ.
6. سعيدوني (ناصر الدين)، الكتابات التاريخية حول الفترة العثمانية من تاريخ الجزائر، مجلة الثقافة، ع 45، الجزائر، 1978م.
7. صيود (هادية)، أحمد توفيق المدني الوسيط النضالي بين تونس والجزائر من خلال مؤلفه حياة كفاح، عصور جديدة، ع 01، ج 8، دون بلد، 2008م.
8. عطابي (جمال)، أحمد توفيق المدني وإسهاماته في النهضة الثقافية والعولمة الوطنية بالجزائر (1925م- 1954م)، مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع 10، سيدي بلعباس، الجزائر، 10 جوان 2019م.
9. علواني (صالح)، قراءة في كتاب هذه هي الجزائر المناضل الجزائري والمؤرخ الثائر أحمد توفيق المدني، مجلة الموروث، ع 2، جامعة سوسة، تونس، 2013م.
10. عويمر (مولود)، مسألة التاريخ عند الأستاذ أحمد توفيق المدني، البصائر، ع 982، 21- 27 أكتوبر 2019م.

11. غالم (محمد)، براديقما المقاومة في الخطاب التاريخي الإصلاحي أحمد توفيق المدني نموذجا، عصور جديدة، ع 03-04، دون بلد، 2012م.
12. المدني (أحمد توفيق)، حياة كفاح، مجلة الأصالة، ع 54- 55، الجزائر، فيفري- مارس، 1978م.
13. يوسف مناصرية، الحزب الحر الدستوري (1991م- 1934م)، مجلة الدراسات التاريخية، وزارة التعليم العالي، جامعة الجزائر، ع 4، 1988م.
14. معوشي (أمال)، أحمد توفيق المدني لمحة عن إسهاماته الثقافية ودوره الدبلوماسي في الثورة الجزائرية، مجلة البحوث التاريخية، ع 1، الجزائر، 01 مارس 2019م.
15. يخلف (حاج عبد القادر)، المؤرخ أحمد توفيق المدني ومذكرات حياة كفاح، مجلة عصور الجديدة، ع 3- 4، جامعة وهران، 2012م.

ج- الموسوعات:

1. بن عبد الله خزيمي (إبراهيم)، موسوعة أعلام القرن الرابع عشر و الخامس عشر هجري، ج1، دار شريف رياض للنشر، دون تاريخ.
2. بشار (عبد الكريم جمل وآخرون)، معجم الشخصيات التاريخية والعربية، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2007م.
3. بلقاضي (محمد هشام)، معجم رجال الدين والإصلاح في العالم العربي، ط 1، دار تلمسان للنشر، الجزائر، 2007م.
4. بوصفصاف (عبد الكريم وآخرون)، معجم أعلام الجزائر في القرنين 19م- 20م، ج 2، دار الهدى للطباعة، عين مليلة، الجزائر، 2004م.
5. الجميلي (حميد و آخرون)، موسوعة بيت الحكمة لأعلام العرب في القرنين 19م و 20م، جزء الأول، بيت الحكمة، بغداد، 2000م.
6. خزيمي (ابراهيم بن عبد الله)، موسوعة أعلام القرن الرابع عشر و الخامس عشر هجري، ج1، دار شريف رياض للنشر، دون تاريخ.
7. العلاونة (أحمد)، ذيل الأقلام، ج 1، مج 1، ط 1، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدّة، السعودية، 1998م.
8. علام (محمد نهري)، المعجميون في خمسين عام، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1982م.
9. رمضان (محمد خير يوسف)، تتمة الأعلام للزركلي، دار ابن حزم للنشر، دون بلد، دون تاريخ.

د- المواقع الإلكترونية:

1- بالعربية:

1. البرجاوي (مولاي مصطفى)، مصطلح التاريخ، 22 جويلية 2020م، 10:00 صباحا، https. Alukh.net.
2. بن قينة (عمر)، أحمد توفيق المدني المفكر والكاتب المنسي، 23 فيفري 2020م، 10:00 صباحا، https=//www.oulama.dz.org
3. حميدي (أبو بكر الصديق)، مساعد محمد علي، مظاهر الفكر الوحدوي في برنامج الحركة الإصلاحية للجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية، مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية، ع 4، ديسمبر 2017م، www.hirodote.com
4. علواني (صالح)، أحمد توفيق المدني التونسي الجزائري المصلح والمناضل من خلال مذكراته (1915م- 1925م)، 15 ديسمبر 2019م، https:// academie.edu.com
5. قناة الحوار، حياة علم من أعلام الفكر الإصلاحي في الجزائر "الشيخ عبد الحميد بن باديس"، 22 فيفري 2020م، 10:00 صباحا، https//www.youtube.com watch p v=efo
6. كاتب مجهول، "عبد اللطيف حناشي" النخبة الجزائرية بتونس" أحمد توفيق المدني كان نموذجا للمثقف العربي الثوري"، جريدة التحرير، 29 فيفري 2020م، 17:00 مساءً، www.altahrironline.com.

2- بالفرنسية:

1. https://www.facebook.com.benygzer.
2. https://ar.m.wikipedia,org/wiki.

3- soraya guemmouri, hommage A ahmed tewfik el madani au forum de la mémoire : un grand témoin de l'histoire de l'algérie, 22/02/2020, 15:00 du Soir, https://www.elmoujahid.com/fr/mobile/detail-article/id/83900.

3. www.alurah.net
4. www.sotor.com
5. www.kuna.net.ko

هـ- المراجع الأجنبية:

أ- باللّغة الفرنسية:

1. Macdougall (James), soi-même connu un autre les histoires coloniales d'Ahmed Toufique Almadani (1899- 1983), rêve des mondes musulmans et de la méditerranée, publication de l'université de provienne, 2002.
2. Merad (Ali), réformisme musulman en Algérie de 1925 à 1990 essai d'histoire religieuse et social, Les édition Elhikma, Alger.

3. Remaoum (Hassan), Les histoires issus du movement national, insaniyat, n° 25- 26 Juillet, Décembre, 2004.

ب- باللغة الإنجليزية:

1. Johnson (Jinifer), The battle for Algeria, university of pennsylvania press, philadelphia, pennsylvania, 2016.

فهرس المحتويات

شكر وتقدير

اهداء

قائمة المختصرات: 9

مقدمة:.....أ

الفصل الأول: ترجمة لأحمد توفيق المدني..... 7

تمهيد:..... 8

المبحث الأول: حياته وآثاره..... 9

المطلب الأول: مولده ونشأته..... 9

المطلب الثاني: العوامل المؤثرة في تكوين شخصيته.....10

1-1- البيئة الأسرية:.....11

1-2- عبد العزيز الثعالبي والمدرسة القرآنية:.....12

1-3- حادث سينما النونيز:.....12

1-4- رواية الوطن ونشيد صوت الحرية: 13

1-5- دكان علي بوغدير:.....13

1-6- الأستاذ حسين الجزيري، الصادق الرزقي، حسين حسني عبد الوهاب:.....13

1-7- عبد الحميد بن باديس والبشير الإبراهيمي:.....14

1-8- العلاّمة ابن خلدون:.....14

1-9- الأوضاع السائدة:.....14

المطلب الثالث: تعليمه. 16

المبحث الثاني: نشاطاته في القطرين.....18

المطلب الأول: نشاطه في تونس. 18

1- نشاطاته السرّية: 18

2- نشاطاته العلنية:.....21

الإبعاد إلى تونس وأبرز المواقف:.....24

المطلب الثاني: نشاطاته في الجزائر.....25

1- المرحلة الأولى: الحركة الوطنية 1926م- 1954م:.....26

2- المرحلة الثانية: الثورة الجزائرية 1954م-1960م.....30
المطلب الثالث: وفاته.....34
الفصل الثاني: أحمد توفيق المدني والتاريخ.....36
تمهيد:.....37
المبحث الأول: تعامل أحمد توفيق المدني في التاريخ.....38
المطلب الأول: مفهوم التاريخ عند أحمد توفيق المدني:.....38
المطلب الثاني: أسلوبه في الكتابة والنقد التاريخي.....39
المطلب الثالث: توظيفه للتاريخ.....43
المبحث الثاني: كتاباته التاريخية والفكرية.....45
المطلب الأول: كتاباته المنشورة في تونس.....45
1- تونس وجمعية الأمم: (1924م):.....45
2- نضال إيرلندا أو الحرية ثمرة الجهاد (1923- 1924م):.....45
3- معاهدة سيفر.....46
4- كتاب تقويم المنصور (في تونس).....46
المطلب الثاني: كتاباته المنشورة في الجزائر.....47
1- أثناء الإحتلال الفرنسي :.....47
1-1- قرطاجنة في أربعة عصور.....47
1-2- كتاب تقويم المنصور(1922م): (في الجزائر).....50
1-3- كتاب محمد عثمان باشا.....58
1-4- كتاب الجزائر.....53
1-5- كتاب المسلمون في جزيرة صقلية و جنوب إيطاليا.....56
1-6- كتاب جغرافية القطر الجزائري.....58
1-7- كتاب حنبعل.....60
1-8- كتاب هذه هي الجزائر.....63
2- بعد الإستقلال:.....65
1-2- كتاب حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و إسبانيا.....65
1-2- كتاب مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار.....67

1-3- كتاب مذكرات حياة كفاح.....68
1-4- كتاب أبطال المقاومة الجزائرية.....73
مؤرّخ أو أديب:.....73
خاتمة.....77
الملاحق.....80
فهرس الأعلام والأماكن..... 80
فهرس الصحف والمجلات.....96
فهرس الأحزاب والجمعيات والمنظمات.....98
القائمة البيبليوغرافية.....101
فهرس المحتويات.....113

ثمّ بعوثِ اللهُ